أنثاي

أنثاي
قصص
علياء الدهان
الإسكندرية : الحسناء للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى : ٢٠١٨
ISBN 978 -977-6535-65-7
رقم الإيداع : ١٧٢٢١ / ٢٠١٨
ديوى : ٨١٣
١٤٤ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٥٥٣١٢٩٣٦٣
٠٣/ ٥٩٣٠٥٦٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

أنثاي

رواية

علياء الدهان

إهداء

إلى

كل امرأة قوية مستقلة، تحمل بين طياتها أنثى تعاني

إلى

كل رجل لا يفهمها

إلى

كل شخص تائه في ذاته، ولا يستطيع أن يفهم أحاسيسه ومشاعره حتى الآن..

إلى كل من قرأ هذا الاهداء

أهديك هذا الكتاب

إهداء خاص

إلى كل شخص مرّ بحياتي وترك أثرا في نفسي سلبيا كان أو إيجابيا..

إلى من جعلني علياء الحالية إلى عائلتي الحبيبة.. أمي وأبي عبدالله الدهان اختي وأخي : عبلة و علي

إلى أستاذي وعمي مصطفى عبدالدايم الشاعر و مدرس اللغة العربية والذي كان يقرأ لي منذ صغري ويشجعني..الذي تعلمت منه الرقي اللغوي والصفاء الروحي ...

إلى محمد شرف الدين وأيمن عبدالله و اللذان أنارا لي الطريق لفهم نفسي و الحياة ...

إلى أصدقاء خلف الكواليس مهما قلت عنهم لن اوافيهم حقهم عليّ والذين شجعوني ودعموني بكل الصدق والحب، الذين صدقوا كلماتي، ورحبوا بالمزيد، ها أنا الآن اكتب الأهداء على كتابي الأول وممتنة لله على نعمة وجودهم بجانبي

١

كوب من الشيكولاتة الدافئة بجانبه أباجورة ذات إضاءة خافته تسمح بقراءة سطور كتابها الذي اختارته بعناية ليلائم تلك الليلة المُعَدّة لأخذ قسط من الاسترخاء والراحة مع النفس.

تتساقط الأمطار بغزارة خلف نافذة زجاجية ويداعبها صوت الرعد بخفة وكأنه لحن موسيقي تطرب له الآذان...درجة الحرارة منخفضة ولكن المدفأة تشتعل بالخشب تدفئ الغرفة وتجعلها مقبولة ومريحة، تجلس على كرسي هزَّاز وفي يدها الكتاب، تقلّب صفحات الكتاب وكأنها تقلّب أفكارها غير مبالية لما تقرأه، فخيالها يبعدها بعيدًا، تركيزها مُعادٍ عينيها لتفهم ما تقرأه، صاحَبَها الشرود في تقلب الصفحات كأنها تقلب الأفكار، الأحداث والرؤى.

تفكر في هذا وتلك والحلم القريب والبعيد، تفكر في العمل ومشاكله والناس من حولها، و.. الحب.. نعم الحب.. لتقف عند صفحة في الكتاب لوقت طويل وتنظر إلى نار المدفأة التي تلتهم الخشب حتى تحقق الدفء

المطلوب، وفي تلك اللحظة فكرت بكل شخص خان قلبها، وفي كل حلم بعيد المنال..

نظرت إلى النافذة بعد نظرتها الطويلة للهب المدفأة، وكأنها تستنجد بقطرات المطر ليطفئ لهيب حنينها لهذا الشعور وهذا الإحساس، إحساس الحب الحقيقي، الذي لم يزرها منذ قت طويل، ففي قمة نجاحها وانشغالها وممارسة لهوايتها، تتناسى أنها أنثى تحتاج إلى رجل يشعرها بالدفء الذي يشبه في قوته النار في دفء الشتاء، تتناسى هذا الشعور الذي يداعب الروح والخيال، يكشف في الإنسان أشياء لم يشعر بها يومًا، تولد منه إنسان آخر حر طليق....

ومع التفكير الطويل، بدأت تقل قطرات المطر رويدًا رويدًا حتى أصبحت كالندى، وبدأت تنطفئ شعلة لهب المدفأة، واستسلمت لنوم عميق.....

أشرقت شمس النهار في اليوم التالي وكأنها تربت على عينيها لتوقظها لتبدأ يومها من جديد...

استيقظت لتأخذ حمامها المعتاد، فتحت خزانة الملابس لتختار المناسب لها في هذا اليوم استعدادًا لعملها، وقعت عيناها على اللون الرمادي فهي لا تعرف سر حبها لهذا اللون... هل لأنه يبعدها عن الحقيقة الصريحة أم يبعدها عن سواد الخيانة والأكاذيب؟ ولكن على أية حال فهي ترتاح فيه.

نزلت من منزلها، واستقلّت سيارة أجرة لمكان عملها، فصادفها سائق تاكسي من سائقي السيارات محبي التسلية مع جمهوره وكأنه يبدأ عدّاد السيارة وكلامه معاً لكل راكب جديد.

السائق: "صباح الخير يا مدام... "
الفتاة بتثاقل: " صباح النور. "
" لماذا هذا الوجه العبوس في النهار الباكر؟... ".
الفتاة بابتسامة زائفة: "لا شيء"
" أتدرين؟ عرفت أنك متزوجة من هذا الوجه العبوس... الزواج همّ ومسئولية، ليت الشباب يعود يومًا، لما كنت أتزوج ولعشت حرًا طليقًا مع صديقتي...."
فاجأها بكلمة صديقتي فردت في التو: "صديقتك!".
السائق وكأنه كسب رهان صمتها وأكمل قائلاً: "نعم صديقتي التي تركبين بها الآن..." ورّن ضحكة عالية.
الفتاة بهدوء: "حفظها الله لك".
السائق مستطردًا: "نعم اشتريت صديقتي منذ زمن طويل قبل زواجي، أدور بها جميع الأنحاء، استحملت معي الكثير لاتكل ولا تمل، أعتقد أنها أوفى من البشر، فالجماد يتحملك ويستوعبك دون البشر، أليس كذلك؟" يسأل وهو ينظر إلى المرآة، فشد نظرها تجاه المرآة أيضا ليجبرها على الإجابة...
"نعم... لا... أحيانًا كذلك.."
السائق: "ها قد وصلنا.."
همّت" الفتاة" بدفع الأجرة، إذا بالسائق يعطيها أولاً كارت، فاستغربت الفتاة من هذا الكارت وقلّبت فيه، ليقاطعها قائلاً:

"الطيّار حسن، هذا اسمي ورقمي أسفله إذا أردتِ أن أوصلك لأي مكان وأي زمان" وضحك ضحكته المعتادة.

نزلت الفتاة من السيارة وهمّت بفتح شنطتها ودفع الأجرة مرة أخرى، فوجئت به قائلاً: "المرة القادمة، آنستي... سلام"

وطار بالسيارة من أمامها.....

استغربت الفتاة هذا الرجل العجيب غريب الطباع والتفكير، وابتسمت ابتسامة ولكنها الآن حقيقية،

والتفتت لتدخل مبنى العمل.....

❊ ❊ ❊

الفتاة لموظف الاستقبال: "السلام عليكم"

الموظف: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أستاذة"

تذهب حيث يوجد المصعد وتضغط على زر النزول بكل ملل وتنظر لعدّاد الأدوار حتى ينزل من الدور السابع.

"وعليكم السلاااام ورحمة الله وبركاته"

موظف الاستقبال بطريقته المعهودة لأي شخص غريب يدخل المبنى.

خطف هذا السلام ذهن الفتاة من استرسال أفكارها وهي تنتظر المصعد وتنظر إلى عدّاد أدواره ....

"إلى أين أنت ذاهب يا فندم؟" موظف الاستقبال للشخص الغريب على المبنى.

شاب في عمر الثلاثين رجع بظهره ليخبر موظف الاستقبال مكان وجهته.

موظف الاستقبال: "تفضّل....."

لم تسمع الفتاة الحوار كاملاً، فرجعت ببصرها لباب المصعد المفتوح فدخلت، أقبل الشاب بخطوات سريعة أبطأت عندما عرفت مكان المصعد، ركبت الفتاة ومن ورائها الشاب.

أغلق الشاب باب المصعد فور دخوله وطلب رقم الدور، ومن باب الذوق التفت إلى الفتاة قائلاً:

" ما دورك؟"

فردت بحزم: "الدور السابع"

قال لها بضحكة: "قد اقتربنا على الوصول، إنه نفس دوري"

ابتسمت ابتسامة مجاملة وتقدمت نحو الباب، توقف المصعد عند الدور السابع وفتحت الباب وخرجت متوجهة إلى مكتبها، ولكنها لم تشعر بخطوات ذلك الرجل الغريب، فالتفتت لتراه واقفًا أمام المصعد وعلامات الاستفهام تطل من عينيه، فذهبت إليه لتعرف ماذا يريد بالضبط.

"هل لي بمساعدتك؟"

الشاب متحيرًا: "نعم لو سمحتِ.. أمتلك فيلا خاصة وأريد عمل الديكورات الداخلية الخاصة بها، وأبحث عن المسئول، فمن أي اتجاه في هذا الدور؟"

"نعم .. تفضّل هذا الاتجاه"

الشاب: "شكرا لكِ"

توجه الشاب على الفور إلى الاتجاه المقصود ودخل المكتب.

دخلت وراءه الفتاة وجلست على كرسي المسئول:

"ماذا تريد أن تشرب أولاً يا فندم؟"

ورنّت جرسًا للساعي فأتى على الفور.

الشاب ينظر للساعي: "أشرب قهوة بدون سكر لو سمحت".

الساعي: "حاضر يا فندم"

بينما الفتاة مشغولة بتحضير أوراقها وأقلامها...

الشاب مبتسمًا: "أأنت المسئولة؟"

الفتاة ترد الابتسامة: "نعم أنا"

وفي وقت انشغال الفتاة جذب نظر الشاب شيء موجود في المكان فاتجه نحوه بطريقة جعلت الفتاة تتساءل عن مكان وجهته...

إذ هو يقف أمام ساعة فخمة أرجوانية اللون تقف جانب الحائط، تتبعت الفتاة هذا المشهد، حتى تعلم النتيجة، كان ينظر للساعة وكأنه يحدثها بعينيه، ذهب مع عقاربها لعالم آخر، هل كان يسترجع ذكريات تعانده كعناد الوقت في الرجوع للوراء؟ هل

يشتاق لأحدهم، أم يلوم الوقت الذي مرّ بسرعة دون تحقيق المزيد؟ أم... أم...

سرحت الفتاة معه مستغربة حالته، هذا المشهد لم يبق سوى دقيقتين ولكن قفز في خيالها الكثير كعادتها.. التفت إليها الشاب قائلاً: "إنها ساعة جميلة".

الفتاة تعيد النظر في أوراقها: "كنت أراك تنظر إليها بعمق شديد!".

الشاب قائلاً: "وما العمق في ساعة مصنوعة من الخشب؟" .

وكأنه خيّب آمال توقعاتها...

الفتاة بابتسامة: "العمق سيدي قد يكون من التفكر بنملة تسيرعلى الأرض تبحث رزقها.."

"طبعًا النمل يعيش معنا ويبحث عن رزقه، ويزعجنا في النهاية" وضحك ضحكة عالية، جعلت الفتاة تنزعج نوعا ما.

ثم قالت بجدية ممزوجة بابتسامة: "اسمح لي أن أقول لك إنها سطحية سيدي، لماذا لا تفكر وتنظر للأشياء بشكل يأخذك لعالم خاص توحي لك بالأفكار وتمدك بحياة جديدة؟"

فرد الشاب مبتسمًا: "أنتِ فيلسوفة" وأكمل قائلاً: "وقليل من الناس من يفكرون ويستخرجون العبر والمعاني، انشغال الناس حال دون فهم دقائق الأسرار مثل ما تفعلين...."

فقالت الفتاة وكأنها تدافع: "ولكن الانشغال ليس سببًا للحكم على الأشياء بالظاهر فقط، ولا مبرر للحكم السريع على الأشياء، ولا يصح ألّا يجعلنا نختبر صحة آرائنا، أليس كذلك؟"

انفرجت عينا الشاب من شدة تحمس الفتاة في كلامها الموجه إليه...

ثم ابتسم وقاطعها بخفة قائلاً: "هل هذا لأني قلت إنها جميلة، أهذا حكم سطحي؟!" ثم أكمل مبتسمًا: "إذًا فما الحكم الجوهري لساعة مصنوعة من الخشب؟".

فدخل الساعي في تلك اللحظة ومعه القهوة فوضعها بجانبه.

أدركت الفتاة أنها كانت تتحدث في موضوع كبير ولا علاقة له بما حدث في البداية للشاب الذي لا تزيد مدة تعارفهما العشر دقائق.

ثم ابتسمت قائلة: "أعتذر منك على كلامي الحاد معك".

رد عليها مداعبًا: "وأنا قبلت أسفك".

ضحك الشاب ولكن لم تضحك هذه المرة، وجمعت أوراقها وأمسكت القلم لترسم الفيلا، ثم استأنفت الحديث: "ما تصورك الخاص للفيلا؟".

بدأ يشرح تصوره وهي مستمعة له بإحسان، فأكمل قائلاً: "سأضع هنا ساعة....."

وفي نهاية اليوم همّ الشاب بالرحيل فقدّم لها نفسه:

"اسمي أحمد، وأنتِ؟".

"سما".

تضغط زر الإنارة في شقتها بعد رجوعها من يوم عمل شاق وطويل، تخلع نعليها على باب الشقة،

ولا يزال يتردد على ذهنها جملة ذاك الشاب..

"إذًا فما الحكم الجوهري لساعة مصنوعة من الخشب؟....."

ثم تقول لنفسها بصوت مسموع: "لن يرى ما أراه.."

دخلت تأخذ حمامها الدافئ، وأحضرت لنفسها عشاء لذيذًا ومشروبها الدافئ..

طرقات خفيفة على نافذتها الزجاجية، وجهّت نظرها نحو النافذة لتلاحظ قطرات المطر المتراكمة على الزجاج، فابتسمت ابتسامة هادئة، فهي ترى في الأمطار السلام والأمان والرزق والراحة النفسية فتقول وهي تقترب من النافذة: "سبحان الخالق لن تكفيها كلمة جميلة.....".

في نفس اللحظات قطرات المطر تزور زجاجًا لمطعم صيني، وفي إحدى زواياه يجلس أحمد يتناول طعامه المفضل على أنغام موسيقى هادئة تلائم الجو، ينظر لأعلى من خلال حائط زجاجي للمطعم ليرى السماء ملبدة بالغيوم تُنذِر بهطول أمطار غزيرة، فقرر أن يجلس في المطعم لفترة حتى تخف الأمطار، تسلّى بأفكاره فيما حدث في يومه، تذكر تلك الفتاة التي قابلها في مكتب الديكور،

وحديثها المثير للاستغراب والتفكير، وأعاد على ذهنه هذه الجملة (لماذا لا تفكر وتنظر للأشياء بشكل يأخذك لعالم خاص....).

عندئذ شتّت ذهنه شدة البرودة، فانتبه إلى خفة حدة المطر بالخارج فطلب الجرسون حتى يدفع الحساب، مدّ يده داخل جيوب بنطاله فلم يجد محفظة نقوده، بحث مرارًا وتكرارًا في جيوب البنطال والمعطف والقميص، دون فائدة، عندئذ بدا عليه الارتباك، فتنبّه أن الجرسون جانبه فحاول إخفاء إحراجه بالبحث عن المحفظة مرة أخرى، فلم يجدها تماما!

أحمد للجرسون في ارتباك: "أمهلني دقيقة من فضلك".

الجرسون: "تفضّل..."

جرى أحمد إلى سيارته ليبحث عن محفظة النقود قائلاً لنفسه: "ياله من موقف!... ماذا سأفعل؟" نظر إلى يده مصادفة: "الدبلة!!".

ظهرت أمام عينيه وكأنها طوق نجاة، فخلع الدبلة وذهب إلى الجرسون وفي عينيه إحراج شديد لما حدث قائلاً: "خذ هذه رهان لغدٍ لدفع الحساب".... "هذا رقمي وهذا عنواني".

تفهّم الجرسون موقفه ووافق على العرض، ارتاح أحمد كثيرًا بحل الموقف بهذه الطريقة ورجع لحيرته سريعًا للبحث عن محفظته التي بها بطاقات مهمة، أين نسيها؟ أين وقعت؟ لم يتذكر، تدور في رأسه العديد من التخمنيات أثناء سواقته للمنزل...

دخل باب شقته ليجد زوجته "مها" في انتظاره، تعدّ له العشاء الساخن لهذه الليلة الباردة...

مها: "حبيبي، الحمد لله على سلامتك"

أحمد يرد بإرهاق: "الله يسلمك"

مها لاحظت غياب الخاتم من يد زوجها، فتذمرت بدلال قائلة: "أين الخاتم؟ ألم أقل لك لا تخلعه من إصبعك أبدًا!، يا لك من سخيف".

لم ينتبه أحمد للومها، فهو مشغول البال بإضاعة محفظته المهمة للغاية..

انتبهت مها لحال أحمد قائلة: "ما بك يا أحمد؟ ماذا حدث؟".

جاوبها بسؤال: "ألم تجدي محفظتي بالبيت منذ الصباح؟".

ردت عليه بسؤال أيضًا: "ألم أقل لك ألّا تضع المحفظة في جيبك لأنك تنساها وأن تضعها في مكان آمن بالسيارة؟".

في هذه اللحظة لام أحمد نفسه أنه منع مقاومته من إبلاغها بشيء ولكنه كان مضطرًا ليعلم أين اختفت المحفظة...

ثم انصرف من مجلسه معها وذهب لغرفته دون جواب.

❊ ❊ ❊

والـدليل على أن اللـذات العقليـة أشـرف مـن اللـذات الجسـمانية أمران أحدهما: أن حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير والبهائم، وليست لها اللذات الجسمانية من الجمال والأكل، وإنما لهـا لـذة الشـعور بكمالهـا وجمالهـا، الـذي خصـت بـه نفسـها في اطلاعها على حقائق الأشياء وقربها من رب العالمين في الصفات لا في المكان ورتبة الموجودات، فإن الموجودات حصلت من الله تعالى على ترتيب وبوسائط رتبته لا محالة أعلى من دونهما والثاني: أن.....

قـاطع رنـة هـاتف سـما مـن تـدوين فقـرة مـن كتـاب عـن "تهافـت الفلاسفة" للإمام الغزالي،

أغلقت الكتاب وردت على الهاتف وإذ هي صديقتها "لورين".

سما: "كيف حالك؟".

لورين: "أأنت في البيت؟".

"نعم أنا في البيت".

"وأنا تحت نافذتك".

جرت سما لترى لورين تحت النافذة تلوّح لها من شباك السيارة، ابتسمت لها وأكملت معها في الهاتف:

"الجو بارد...أمجنونة أنتِ!"

"ومـا أجمـل الجنـون... سـأركن سـيارتي وأصـعد إليـكِ، جهـزي لي قهوتي"

❊ ❊ ❊

٢

"تهافت الفلاسفة!!! ما هذا؟!... الدنيا أبسط مما تتخيلين، خذيها ببساطة" لورين باستغراب لسما وهي ممسكة بالكتاب تقرأ العنوان.

ضحكت لها سما فهي تعرف طريقة لورين في الحياة ومعتادة على كلام لورين معها بهذه الطريقة..

أكملت لورين بسخرية: "أتضحكين!!".. "إذًا قولي لي ماذا تستفيدين عندما تعلمين هتافات الفلاسفة؟ أتهتفين معهم؟! هههه.."

ضحكت سما قائلة وهي تأخذ منها الكتاب: "الكتاب اسمه تهافت الفلاسفة، أي تساقطات الفلاسفة وليس هتاف، أنا لا أعلم كيف أنتِ صديقتي!!"

ردت عليها لورين: "لأني مختلفة عنكِ، لذلك تحبينني.. أين قهوتي؟"

أمسكت لورين الريموت كنترول وفتحت التلفزيون، رجعت سما وقدمت القهوة لصديقتها وأمسكت الكتاب مرة أخرى لتكمل قراءتها له... بينما تقلّب لورين في قنوات التلفزيون، فاستقرت على قناة الأغاني، ورفعت صوت الأغنية لأعلى درجة.

"ألا ترين أنه إزعاج؟!"

لـورين متجاهلـة سـؤالها: "انظـري إلى هـذه العارضـة"، فأكملـت واصـفة: "أتـرين زينتهـا وشـعرها الملـون كأشـعة الشـمس ورقصـتها المُبهجة و..... و....".

سـرحت سـما فيمـا تقولـه لـورين وتركـت الكتـاب للحظـات، تأملـت الموقـف كعادتهـا الفكريـة عنـدما تسـرح بشيء فهي تفكـر في معنـاه، معنى أعمـق ممـا يـراه النـاس، معنى خفي لا يخـدع النـاس بالظاهر الجميل والجـذاب، فهي تبحـث عـن جاذبيـة مـن نـوع آخـر، جاذبيـة سـامية تُرقّي، وعلى الجانب الآخر نظرت لنفسها على أنها أيضًا أنثى تسـتحق أن تعـيش بمعانيهـا الأنثويـة فهي طبيعتهـا الأصـيلة وجمالهـا شـيء طبيعـي وبـديهي وفطـري في المـرأة منـذ ولادتهـا، فهي مولـودة لتحب الجمال وتخلقه وتستمتع به.

كل هذا دار في ذهن سما فردت على لورين بعد تأمل طويل.....

قائلة: "أنثايَ داخلي" وصمتت ورجعت لقراءة الكتاب.

وبدأت القراءة بعد ما انتهت بعدة أسطر! وبدأت تقرأ وتقرأ، وذهنها شـارد ليسـحب نظرهـا مـن الكتـاب مـرة أخـرى لتنظـر إلى العارضـة، وجـدت لـورين بجانبهـا تغني مـع الأغنيـة، فخطفـت مـن يـد لـورين الريموت وأغلقت التليفزيون.

انزعجت لورين قائلة وهي تحاول استرداد الريموت منها

"لماذا فعلتِ هذا؟ فقد أوشكت الأغنية على الانتهاء!..".

"إذًا ما رأيك بهذا الهدوء؟".

سما همّت بفتح الراديو على إذاعة الموسيقى الهادئة ثم أكملت قائلة: "إذًا أكملي لي ما كنتِ تقولينه يا لورين، أريد أن أسمعه".
لورين: "ماذا كنت أقول؟!" ناظرة في ساعة يدها: "أوه، الوقت تأخر، مع السلامة يا صديقة عمري، أراكِ لاحقًا".
فحملت حقيبتها ومفتاح السيارة فقبّلتها قبلة في الهواء وهي تفتح باب الشقة، ابتسمت لها سما وهي تلوّح بيدها بالسلام...
جمعت لورين أشياءها للرحيل، ولكنها نسيت هذا الخيال السارح في كيانه، فقد كانت السبب في فتح هذا الخيال بوصفها لدلال وجمال العارضة، الذي ترى فيه سما ضعفًا متخفيًا قد يحول دون الصمود في الحياة، وكنزًا قد يطمع فيه الآخرون.
فتفرش قوتها المفرطة أحيانا لتحصّن هذا الكائن الضعيف الأنثوي الذي بداخلها، ولا يستطيع أحد أن يحصل على هذا الكنز إلا عندما يشقى في الصعود لهذا الحصن، فتحمله للمشاق يؤكد جديته وصدقه في الحصول على هذا الكنز.
كانت تكتب كل هذا الكلام في ورقة أمامها على الطاولة، وشدت انتباهها موسيقاها الكلاسيكية المفضلة على إذاعة الراديو، فتركت القلم فوق الورقة وأزاحت الكرسي لتنطلق في ساحة الصالة وتفرد ذراعيها وكأنهما جناحان، وترقص كراقصة بالية محترفة وهي لا تعلم أقل مبادئ الباليه، ولكنها تشعر أنها تملك العالم بهذه

الرقصة، وكأنها تؤكد لنفسها أنها مالكة أدواتها وقادرة على إخراج كل أداة في الوقت المناسب.

رنّ جرس المنبه الذي يذكرها يوميًا بميعاد نومها ولكن كان صوت الموسيقى أعلى من صوت التنبيه، وهي ترقص وهي مغمضة عينيها ومبتسمة، وشعرت بأنها سندريلا في قصر الأمير، وأنها تتمتع بكامل رقتها ورونقها والجميع يرونها وهي بفستانها المبهر، ويتحدثون عن قصة شعرها الجميلة وترقص وترقص ويصفقوا لها أخيرًا لرقصتها الرائعة.

رّن جرس المنبه مرة أخرى وكان أعلى من صوت الموسيقى هذه المرة لتُعلن الثانية عشرة وعشر دقائق، تنبهت هذه المرة فأغلقت المنبه والموسيقى وذهبت إلى غرفتها بأفكار تدور برأسها وهي على سريرها، فاستدارت لتغلق إنارة أفكارها ونامت.

في صباح اليوم التالي، همست أشعة الشمس على نافذة غرفتها، ليوقظها الضوء قبل رنة المنبه، فاستيقظت متفاجئة من تأخر الوقت ونظرت في الساعة لتجدها لم تتعدَ السادسة صباحًا، أخذت نفسًا عميقًا باطمئنان، وذهبت إلى النافذة لتتفقد حالة الطقس وجدت أشعة الشمس المبهرة وقد أذهبت بشروقها كثيرًا من بقايا المطر على الأرض من ليلة أمس، فتحت النافذة واستنشقت هواء الصباح النقي وقالت "صباح الخير يا سما".

❊ ❊ ❊

سما تجلس على طاولة الطعام وبجانبها فطورها اللذيذ، وورقة لتدوّن ماذا ستفعل اليوم بعد العمل، همّت بكتابة التاريخ، ثم تذكرت حينها أن اليوم هو يوم التجمع العائلي في الإسكندرية، فمنذ أن استقلّت شقة في القاهرة أمام أختها المتزوجة، بسبب عملها في شركة زوج أختها، وهي ترى عائلتها أسبوعيًا، لذا قالت لنفسها: "إذًا لا أحتاج لجدولة اليوم، فهو يوم التجمع العائلي".

فتركت الورقة والقلم، وجمعت أشياءها لتذهب لعملها.

بينما سما منهمكة في العمل في مكتبها دخل عليها وفيق بابتسامة عريضة قائلاً: "كيف حالك، يا سما؟".

رفعت عينها من أوراقها وخلعت النظارة وردت عليه بابتسامة منهكة: "كيف حالك يا زوج أختي؟".

"غريبة أنك تسكنين أمامنا، وتعملين معي في نفس الشركة ولا أراكِ إلا نادرًا!".

ابتسمت ابتسامة خفيفة قائلة: "سامحوني فأنا دائما مشغولة ما بين القراءة والعمل والدراسة والتدريب...". فقاطعها وفيق: "ستذهبين بكل تأكيد معنا أنا وكوثر لمنزل العائلة اليوم...".

سما: "نعم بكل تأكيد، فأنا أشتاق إليهم كثيرًا".

"إذًا سننتظرك في السيارة الساعة السابعة".

"إن شاء الله....".

نظرت سما للساعة فإذا هي الواحدة ظهرًا، فلبست نظارتها ورجعت للعمل مرة أخرى، وبدأت تكتب وتحسب..... .

مرت الساعات، وهي مشغولة لتسليم عمل عاجل مطلوب منها لليوم....

مع الساعة الخامسة... المدير: "ألو، سما، لقد رأيت التصميم بعد الانتهاء منه ولكن هناك تعديل سأرسله إليكِ".

سما: "تمام يا فندم".

ومع الساعة السادسة...

المدير: "سما انتظري حتى نرى رأى العميل".

سما في تردد: "حاضر، يا فندم".

❊ ❊ ❊

يبحث في الأدراج وما بين الأوراق ويسأل من يقابله ولازال يحيره مكان محفظته، يتذكر الأماكن التي ذهب لها، دون جدوى، وإذا بهاتف أحمد يرّن...

"حضرتك الأستاذ أحمد؟".

" نعم أنا، من معي؟"

" أنا أعمل في شركة جاكوبيان للديكور، ووجدنا محفظتك عندنا".

أحمد وقد بدا على وجهه كل ملامح السعادة في لحظة تحول:

"أكيد سآتي على الفور، متشكر، متشكر جدًا".

وخطف سترته من على الكرسي وأخذ المفاتيح من على المكتب وطار للمكان... ومع الساعة السادسة والنصف... سما تلعب بقلم على مكتبها، فنظرت للساعة، فهمّت برفع سماعة الهاتف للاستئذان والخروج، وإذ بالهاتف يرن.....

سما: "نعم، حاضر يا فندم، سأمكث حتى ينتهي التعديل" أنهت المكالمة، وبدا على وجهها الإحباط، في نفس الوقت اتصلت بها أختها كوثر.

سما: "ألو.."

كوثر: "سما أين أنتِ؟، نحن في انتظارك بالسيارة".

"كوثر، لا أستطيع الحضور معكم اليوم، هناك أمر مهم في العمل ولابد الانتهاء منه".

"كيف هذا يا سما؟ والعريس؟ أليس لك معه موعد اليوم؟".

"عريس؟!.. آه.. نعم.. تذكرت".

"هاه؟!!".

"ألغي الميعاد لأجلي يا كوثر، فأنا كما تعرفين منهكة ومشغولة في العمل".

"سنؤجل الميعاد يا سما ولا نلغيه".

"تمام، إذًا بلّغي أمي وأبي بظروف العمل، وإن شاء الله سأنهي العمل وآتى على الفور".

"تمام يا سما، مع السلامة".

يفتح الساعي الباب قائلاً: "أهلاً وسهلاً".
"لقد اتصل أحد منكم عليّ، لأسترد محفظتي و.....".
قاطعه الساعي: "نعم، أهلاً وسهلاً، تفضّل في غرفة الاستقبال.. ماذا تشرب سيدي؟".
أحمد: "من فضلك قهوة...".
الساعي: "بدون سكر أليس كذلك؟".
أحمد بابتسامة: "نعم بالضبط".
مرت سما بغرفة الاستقبال فوجدت أحمد قد وصل فرجعت لمكتبها وأحضرت المحفظة.
سما مادّة يدها بالمحفظة: "هذه محفظتك أستاذ أحمد".
أحمد: "شكرًا جزيلاً، قد حيرني جدًا ضياعها، وبحثت عنها في كل مكان".
سما بابتسامة قائلة: "لا بأس قد نحتار لنستقر سيدي، لقد وجدناها بجانب الساعة الأرجوانية".
أحمد مبتسمًا: "آه، نعم..".
فوجد فرصة للتحدث عن آخر أعمال التصميم قائلاً: "ما أخبار أعمال الفيلا؟!".
"لقد أوشكت على الانتهاء، ولكن ألاحظ اللون الأسود والغامق، يسيطر على التصميم، وقد يخل بالمنظر العام ولكننا نحترم رغبات

العميل، من الواضح أنها فيلا لشخص وحيد، أو مكان لتصوير فيلم درامي".

أحمد بحزن خفي: "لا أنها ليست لشخص وحيد، فهي لي أنا وزوجتي..".

سما مستغربة: "... ولكن.. كيف؟!....".

أحمد بابتسامة صفراء وقد شعر بأن مشاعره قد تُرجمت في التصميم دون أن يشعر: "أنا نفسي لا أعرف كيف!؟...." وسكت.

ردت سما بعين الخبير: "البيت وألوانه قد يعكس ذوق وحالة الشخص النفسية، إذا كان مستقرًا أم لا، فهو يرى العالم بما في داخله، وهذا التصميم يترجم أن صاحبه يشعر بالوحدة و.....". .

وقد بدا على وجه أحمد مزيد من الحيرة وذهب بتفكيره وكأنه ليس في المكان....

شعرت سما أنها تخوض في تفاصيل عالم خاص به قد يبدو مؤرقًا بالنسبة له فأنهت الحديث بلطف: "إذًا أقصى ميعاد للاستلام بعد يومين...".

أحمد: "بإذن الله، شكرًا جزيلاً".

تقدم الساعي بالقهوة قائلاً: "تفضّل القهوة يا أستاذ...".

أحمد قاطعه وهمّ بالوقوف راسمًا نفس الابتسامة الصفراء:

"لا أستطيع، شكرًا جزيلاً، أستأذن في الانصراف، السلام عليكم".

سما باستغراب: "وعليكم السلام".

أدخل أحمد محفظته في جيبه وخرج من المكتب يفكر في مشاعره الخاصة بحياته الزوجية، وكيف أنه كان ينكر إحساسًا محفورًا بداخله منذ سنوات ولم يبح به حتى لا يُلام، وآثر أن يحتفظ به لنفسه، ولكنه عانده في الظهور في كل موقف يلتقي به مع مها زوجته، فتردده الذي وافقه منذ فترة الخطوبة مازال يرافقه حتى بعد سنوات من الزواج، فكان يقرّ في نفسه أن ليس من الرجولة ترك فتاة بعدما وعدها بالزواج منه، فتحمّل تَبِعات الكلمة على حساب نفسه طوال هذه السنوات..

ليست مها التي يريدها أحمد من البداية!

هذا ما واجه أحمد به نفسه بينما كان سائقًا في طريقه للمنزل، مرّت في خياله بعض الذكريات الجميلة التي شاركها مع مها.

وعندما كان منتظرًا في إشارة حمراء، استرجع المزيد والمزيد كي يصفح عنها ويسترجع حبها حيث كان عندما تعرّف عليها، فابتسم ابتسامة، تتحول عندما يتذكر العيوب والمشكلات الخاصة بينهما.... فشعر أنه يقف في إشارة حياته الحمراء، بل إشارة معطلة لا يعلم متى بدأت وكيف ستنتهي، وبينما يسرح أحمد في ملكوته، انتبه لصوت السيارات خلفه تنبهه للسير، فبدأ في القيادة مرة أخرى.

❊ ❊ ❊

٣

بعد خروج أحمد من الشركة، بدأت سما تفكر في حاله الغريب، ولكن سرعان ما تنبهت لتأخر الوقت وكيف عليها أن تذهب الآن لمنزل العائلة بالإسكندرية، بينما تأخذ أشياءها من مكتبها في حقيبتها، فوقع في يدها كارت.

فقالت في نفسها: "ما هذا؟"

فقلبت الكارت على الوجه الآخر:

"الطيار حسن!"

فتذكرته عند قراءة اسمه على الكارت وظهر كالمنقذ في الوقت المناسب، فبادرت بالاتصال به لإيصالها لمنزل العائلة.

"ألو، عم حسن؟"

"نعم أنا، من معي؟".

"أنا سما..".

حسن في استغراب: "سما؟!".

أدركت أنه لا يعلم اسمها بعد، مكملة الحديث: "نعم، التي ركبت معك ذات يوم لتوصلها للشركة صباحًا؟"

"نعم، تذكرت، الآنسة الحزينة".

"هاه؟"

"أضحك معكِ سيدتي، كيف حالك؟ مريني يا فندم".

"آه.. أيمكنك أن توصلني إلى الإسكندرية الآن؟".
"طبعا سيدتي، أين أنتِ الآن؟".
سما وقد أخبرته العنوان.....

❊ ❊ ❊

أحمد سائقًا في الطرقات دون وجهة مقصودة، فيرن هاتفه ليقطع صمته...
"ألو، مها..".
"أحمد، حبيبي لماذا تأخرت؟".
"مها... أريد.... أريد أن أتحدث معك...".
مها والقلق قد بدا على صوتها: "خير يا أحمد! ".
"لا تقلقي، ولكن أريد أن أتحدث معك كثيرًا، كثيرًا جدًا".
مها وقد تلاشى من صوتها القلق ليحل محله دلال فطري: "طيب يا أحمد، أنا أنتظرك بالمنزل".
"لا.... بل استعدي وسأنتظرك تحت البيت، للذهاب لمكان ما".
"حاضر يا أحمد، سأستعد على الفور".

❊ ❊ ❊

وصل حسن تحت مبنى الشركة وركبت معه سما لبيت العائلة....
حسن: "أهلاً وسهلاً أستاذة سما".
"أهلاً بحضرتك، شكرًا لمجيئك".

"هذا واجبي، وصديقتي، أقصد سيارتي تحت أمرك هيه".

سما مبتسمة: "شكرًا لك ".

وبعد فترة من الصمت، يرن هاتف سما:

"كوثر لا تقلقي أنا في الطريق إليكم، في التاكسي الآن".

"تمام يا سما، وإذا جاء طارق سنجعله ينتظرك".

"طارق؟!".

"نعم طارق، العريس يا سما!".

"ألم تخبريني بأنك ستؤجلين الميعاد يا كوثر؟".

"نعم وهذا قد حدث الساعة العاشرة مساءً بدلاً من الساعة الثامنة".

سما بتنهيده: "كنت أقصد التأجيل ليوم آخر يا كوثر..".

"خير البر عاجله يا أختي الحبيبة".

سما متأففة: "حاضر يا عائلتي الحبيبة...".

وأغلقت المكالمة، ونظرت من خلال شباك السيارة إلى الطريق السريع جدًا الذي يشبه في سرعته قطار العمر الذي يقوده القدر حيث يريد.....

وكان يتابع شرودها حسن من مرآة السيارة، فقاطع شرودها بسؤال: "عريس؟".

ردت سما بتلقائية: "نعم هو كذلك".

أكمل حسن كلامه مع سما وكأنه يُحدِث نفسه: "ممم طارق.... طارق..... اسمه مُبَشِر".

سما تنظر له باستغراب.....

"أتعرفيه يا أستاذة سما؟".

سما ترد سريعًا وكأنها وجدت سببًا لرفضه: "لا، لا أعرفه...".

"ممم، قد يكون أفضل ممّن عرفتِهم...".

"آه، حسنا، من الممكن.. ".

"أتعلمين أني أسوق في اليوم ١٨ ساعة ..."

سما ذوقيًا تنصت لكلامه...

حسن مستطردًا: "كل تعاملاتي مع البشر، البشر فقط، رأيت كل طباعهم، ورأيت ردود أفعالهم في مواقف متنوعة كثيرة، وفهمت أن الناس مواقف وليس مظاهر".

فنظر لها في المرآة ليشد تركيزها له ثم قال: "سيدتي... الناس أفعال".

سما وقد بدا عليها الاهتمام لكلامه هذه المرة.

حسن يؤكد فكرته وينظر للطريق مرة أخرى: "أعطى للناس فرصة كي يثبتوا لكِ جدارتهم بأفعالهم".

وأكمل حسن مبتسمًا: "أحيانًا الجلسة الأولى تُخطئ سيدتي، قد نحتاج لمواقف تثبت صدق رأينا، أليس كذلك؟"

سما: "ولكن أحيانًا النظرة العميقة الأولى تحول دون الوقوع في الخطأ، والمحاولة في تجربة قد تبدو فاشلة من البداية، أليس كذلك أيضًا؟"

"أستاذة سما، أتعلمين ما هو انطباعي عنك في البداية؟".

سما باستغراب: "ما هو الانطباع؟"

حسن رد مسرعًا: "شخصية كئيبة".

"هاه!"

حسن موضحًا: "لا تستغربي ولكن من يتعامل معك يشعر وكأنك شخصية لا تحب أن تبتسم!".

"ماذا؟ كيف وأنت لم تعرفني جيدًا كي تعلم أهذه هي شخصيتي الحقيقية أم لا؟!".

حسن مستطردًا: "وهذا بالظبط ما تفعليه مع الناس يا أستاذة سما، قد تأخذين عنهم انطباعًا أوَّليًا مغايرًا تمامًا للحقيقة، وبالتالي لا تتركين لنفسك فرصة للتجربة معتمدة على ما تسميها النظرة العميقة الأولى!".

"الناس ليسوا بلوحات فنية، تترك عندك فكرة واحدة، فكل شخص بحر من الألغاز والأفكار، تستحق أن تعيشي التجربة، حتى وإن باءت بالفشل، فقد تخرجين من هذا البحر بالدرر واللآلئ، التي تعلمك وتعينك في العوم في بحر شخص آخر..... أستاذة سما، أأنتِ معي؟".

سما تنطق بعد صمت شرد في كلام حسن معها: "نعم.. معك...".
وبدأ يكمل: "أكيد تستغربين بأن سائق يقول لكِ هذا الكلام، الحياة علمتني الكثير فأنا شخص انتهيت من دراستي الجامعية و...".
أما سما فتاهت في بحر أفكارها.
وبعد عشرين دقيقة...
يتصل أحمد مجددًا كي تعلم مها أنه قد وصل...
تنزل مها بسرعة من شقتها، لتجده يقف أمام باب العمارة حاملاً بوكيه ورد بالألوان التي تحبها النساء...
غطت فمها بيديها فرحًا بالمفاجأة ثم أخذته برفق، وشكرته في الحال، ذهب للسيارة ودعاها للركوب، وانطلق بالسيارة للمطعم الصيني الذي يذهب إليه عادة....
أحمد ومها يجلسان على مائدة الطعام بجانب الشرفة التي تطل على حديقة واسعة في المطعم الصيني.
أحمد يلملم شتات فكره بهذه البداية: "هل تتذكرين أول لقاء بيننا يا مها؟".
مها بابتسامة: "بالطبع".
"كنتِ جميلة حينها يا مها".
مها ترد بدلال وهي تنظر في عينيه: "والآن؟".

أحمد يبعد قليلاً عن اتجاه عينيها وكأنه يخشى أن تقرأ أفكاره من عينيه ورد بإجابة مختصرة جدًا: "صرتِ أحلى...".

مها بابتسامة واثقة: "علمت ذلك من عينيك....".

أحمد في صمت تام وينظر لها بنظرة تقول ألف معنى بدون حرف واحد.

اقترب الجرسون من طاولة أحمد وقد كسر حاجز الصمت الذي دام لدقائق:

"تفضّل أستاذ أحمد، دبلتك...".

أحمد وقد نسي تمامًا هذا الموقف: "آه... نعم... شكرًا لك، سأدفع الحسابين بعد طلب عشاء الليلة".

مها استمعت للحوار بينهما وهي مستغربة ما الذي أتى بالدبلة إلى هنا.

أحمد واضعًا الدبلة على الطاولة وشرح لها الموقف من بدايته: "..... وها هي الدبلة"

مها أمسكت بها وقالت بخفة: "إذًا دعني أضعها في أصبعك، أعطني يدك...."

أحمد واضعًا يديه في جيب سترته: "ضعيها على الطاولة، فقد ألبسها فيما بعد...."

"أنت غريب يا أحمد حقًا الليلة!..."

"في الحقيقة هذا ما كنت أريد أتحدث معك بشأنه ...."

مها محاولة لفك شفرات كلامه: "ماذا تقصد؟!"
"أنا أشعر أن هذه الدبلة تحول بيني وبينك..."
"هاه؟!"
أحمد مستطردًا: "ماذا لو مازلنا أصدقاء كما كنا؟... أعتقد الحياة كأصدقاء تكون أصدق..."
مها وقد بدأ القلق يساورها: "نعم نحن أصدقاء متزوجون!"
"نحن أصدقاء ولكننا لم نتزوج"
مها وقد ازدادت حيرتها: "ما هذه الألغاز يا أحمد؟!"
"الزواج ليس امرأة جميلة وعلاقة خاصة وضحكة..." مستكملاً وهو يقرب من اتجاه عينيها: "ولكنه امرأة عرفت تدخل قلب وعقل الرجل، يميزها عن باقي النساء ليس لميزة خاصة بها، ولكن بميزة خاصة له بها، يميزها لأنها قلبه وعقله وروحه، وطنه الذي سكنه بكل ما فيه، بالرغم أنه لا يعلم أقطار هذا الوطن جميعه لكن يشعر بالغموض والإثارة لاكتشاف المزيد، يشعر فيه بالراحة، راحة تغنيه عن العالم، بعد يوم عمل شاق..."
مها هادئة تسمع هذا الكلام لأول مرة من أحمد..
أحمد مستطردًا: "لذلك..... مها..... أرجوكِ افهميني..."
مها صامتة تمامًا....
أحمد منتظرًا يريد أن يسمع منها: "مها... لا تعذبيني بصمتك...."

مها وقد خرجت من صمتها لترد: "تريد الانفصال يا أحمد، أليس كذلك؟!"

"انفصال.. لا... أنا أريد فقط أن... نناقش الأمر" فامتدت يده لكوب الماء ليشرب..

فأكملت مها بابتسامة تحاول إخفاء دمعتها: "إذًا أتريدني أن أصفّق لكلامك لأرضيك؟! أتريدني أن أقول إنك على حق وأني حقًا مقصرة حتى لا تشعر بالذنب؟!!".

"لا يا مها... قولي لي شعورك الحقيقي، قولي لي حلاً! فكري معي".

مها وقد بدت دمعتها واضحة في عينيها: "شعوري الحقيقي!.. لن تشعر به إلّا لو كنت مكاني"

فأكملت وهي تنظر لبوكيه الورد: "أتعلم؟! جميل هذا الورد، تقريبًا هذه أول مرة تهاديني بورد!"

فضحكت بسخرية وهي تمسح دموعها وأكملت: "فقد كان بوكيه احتفال الانتهاء من المسرحية"، فأمسكت البوكيه، وبدأت تشم رائحة الورد، ولكن رائحة الحزن كانت أقوى، فلا تشعر برائحته ولا تميز ألوانه الآن فتركته مكانه على الطاولة وقالت:

"ولكنه ليس لي، فقد قمت بدور الزوجة وقد كنت لا أمثل، ولكن من الواضح أني لن أقوم بالدورعلى أكمل وجه، ولكني أحببتك بصدق".

ثم أكملت بابتسامة: "كنت أحاول تصديق أفعالك على أنها كلها حب حتى أكذب شعوري الداخلي، أعترف أني كنت أعاتبك كثيرًا فقط لتكون الأفضل... لا لترحل"

"والحل.. أن آخذ إجازة منك لنفسي يا أحمد، فأنا مرهقة جدا الآن.."

أحمد يسمعها في هدوء شديد وتفكير عميق.....

مها تنهي كلامها وتحمل حقيبتها وتقف ويقف معها أحمد ووضع الحساب على الطاولة وأخذ الدبلة ووضعها في جيبه، وانصرفت مها ومن ورائها أحمد....

وتركا بوكيه الورد على الطاولة.....

❊ ❊ ❊

مرّ قرابة الساعتين وقد أوشكت سما على الوصول.....

يرن هاتف سما:

"ألو، يا كوثر"

"أين أنتِ يا سما؟ طارق قد وصل ونحن في انتظارك"

"طارق وصل؟!"

"نعم، لا تتأخري حبيبتي، مع السلامة"

"مع السلامة"

وفي تلك اللحظة نظر إليها حسن من مرآة السيارة، نظرة تؤكد معنى لكلامه السابق ثم قال مبتسمًا: "ربنا يوفقك"

فابتسمت سما قائلة: "شكرًا جزيلا لك يا عم حسن"
توقفت السيارة بهدوء عند باب منزل سما، فوجدت أباها ينتظرها بابتسامة فخرجت من السيارة، وشكر والد سما السائق ودفع الحساب، ووقفت سما تلوح بيدها بابتسامة لعم حسن.
صعدت سما مع أبيها السلم ودخلا باب الشقة....
تجد كوثر تشاور لها من بعيد على وجود العريس في غرفة الصالون، وعليها أن تتهيأ لمقابلته، فنظرت لها سما باستغراب لمعرفة ماذا تقصد بأن تتهيأ؟
قالت لها كوثر بصوت خفيض: "ضعي مكياج والبسي ملابس جديدة ذات ألوان زاهية"
فردت عليها سما بصوت أعلى من صوتها قليلا: "لا... لا أريد"
فأكملت: "سأرتدي ما أرتديه في العادة، أرجوكِ لا تضغطي عليّ أكثر من ذلك يا كوثر"
فجاءت والدتها في الحال تربت على كتف سما حتى ترضيها: "كما تريدين يا سما، بما أنك وافقتِ على مقابلته فأنا راضية"
دخلت سما غرفة الجلوس فإذا بشاب في الثلاثينات من عمره يرتدي بدلة رمادية اللون يقف لقدومها،
سما تحيي الضيف: "أهلاً وسهلاً"
طارق: "أهلاً وسهلاً بكِ"
ومرّت ثوان من الصمت...

فبدأت سما بالكلام: "أعتذر عن التأخير"
"لا أبدًا يا سما" ثم سألها قائلاً: "كيف حال الطريق؟"
"الحمد لله، كان يسير بسلاسة"
"وكيف حال العمل؟"
"جيد"
طارق محاولاً لاستدراجها في الكلام: "أنا أعمل طبيبًا ولديّ عيادة خاصة هنا في الإسكندرية"
"عظيم"
"وعندي حساب لا بأس به في البنك"
"ممتاز"
"أملك سيارة اشتريتها من سنتين"
سما تومئ برأسها بـ"حسنًا"..
"عريس ممتاز، أليس كذلك؟"
سما بصراحتها المعتادة: "وماذا قلت ليجعلك ذلك؟"
"كل هذا ولا ترى أني قلت شيئًا؟!"
"بالطبع، ما يميزك كي يجعلك عريسًا ممتازًا؟"
سما مكملةً: "ملايين البشر من يملكون البيوت والأراضي والأموال والسيارات في العالم أجمع، هل كل هذا يجعلهم أناس متميزين أو نافعين؟... المتميزون هم القلائل سيدي"
طارق منصتًا بتركيز شديد....

سما مستطردة: "إذًا ما الذي فعلته كي تكون متميزًا؟ أن تجمع أموالا، وماذا بعد.. أن تجمع أموالا أكثر... ثم ماذا...؟!"
وقالت بابتسامة: "يشتكون الناس كثيرًا من صراحتي ولكني أعتذر لك عن أسلوبي، هذه هي حياتك وأنت حر بها سيدي"
طارق يخرج من صمته: "أكملي يا سما، أريد أن أسمع منك...."
"أكمل ماذا؟"
"ما كنت تقولين"
"أنهيت كلامي سيدي، ومن الواضح أننا لن نتفق.. أعتذر بشدة"
"لقد أنهيتِ كلامك ولكنّي لم أنتهِ بعد.." مكملاً: "أنا سعيد جدًا بما تقولينه، يا آنسة سما"
سما في استغراب شديد...

طارق بابتسامة: "الآن يمكنني أنا أعرفك بنفسي بصدق.. أنا مؤسس جمعية لصالح الشباب المغترب في الإسكندرية، لتعريفهم بالأماكن الموجودة في المنطقة، ومساعدتهم وتيسير توصيلهم لمبتغاهم، كما أننا ننظم حفلات لتعريفهم أيضًا بالأماكن السياحية هنا بالمنطقة، وكذلك أعمل دراسات خاصة بالطب كي أكون ناجحًا في عملي، كما أني لي العديد من الأنشطة في المسجد المجاور لمنزلي، أي نعم هو صغير وفي شارع جانبي، ولكن لضيق وقتي لا أستطيع العمل في ذاك البعيد، ولعل الله يبارك فيه..."

سما تستمع وهي مذهولة ومحرجة في نفس الوقت وتستجمع أفكارها: "هـ هـ..هذا شيء جيد"

"أكيد تفكرين الآن، إذًا لماذا لم أقل هذا أولاً؟"

سما وقد وجدت ضالتها في سؤاله: "نعم فعلاً، لماذا؟!"

"لن أحرج أن أقول لكِ أني مُكرَه على المقابلة"

"مُكرَه؟!!"

طارق بابتسامة واسعة: "أمي من أجبرتني أن آتي، كي أتزوج، فهي تتمنى أن تحمل أحفادًا لها منّي وتوعدت أنها ستخاصمني إذا لم أركِ وأتحدث معكِ"

"إذًا يمكننا أن ننهي المقابلة، وقد كسبت ودّ والدتك"

طارق وهو ينظر لها بجدية: "وأنا لا أريد أن أنهيها حقا..."

وأكمل: "كل فتاة كنت أقابلها كانت توافق عليّ، بسبب أني عريس جاهز!..... ولكن أنتِ ما شدني لكِ أسئلتك، ووضح لي كثير من شخصيتك.."

فنظر طارق في الساعة قائلاً: "تأخرت كثيرًا على أمي يا سما، لو لنا نصيب المرة القادمة لا تتأخري، هاه؟... أراكِ على خير"

خرج طارق وسلّم على كل أهل البيت، وخرج..... ولكن.

ترك حديث عميق وتساؤلات كثيرة تدور في ذهن سما.

دخلت كوثر لسما تقول لها: "ما رأيك يا سما؟"

سما ترد في شرود: "لا أعرف".

❊ ❊ ❊

٤

في مساء اليوم التالي، في غرفة مظلمة لا يضيئها إلا ضوء أباجورة صغيرة على المكتب تجلس عليه مها، ودموعها تنزل برفق من عيونها، في هذه اللحظة يطرق باب الغرفة تدخل عليها أمها لتطمئن عليها.

الأم: "مها، أمازلتِ مستيقظة؟، نامي يا حبيبتي الوقت قد تأخر"

مها وهي تمسح الدموع من عينيها: "حاضر يا أمي سأنام"

شعرت الأم أن صوت مها ممزوج بصوت بكاء، فأقتربت منها واحتضنتها...

"أمي، أنا أحبه جدا يا أمي، ماذا فعلت لكل هذا؟ ماذا سأفعل بعد ذلك؟ أنا خائفة من رحيله، لن أتخيل حياتي بدونه" فانهارت مها في البكاء مجددًا.....

❊ ❊ ❊

وفي نفس الوقت كان أحمد يستلقي على ظهره في غرفة المعيشة ينظر إلى السماء من خلال شرفة شقته، سارحًا في بحر أفكاره، ويتمنى أن يحكي له القدر ما عليه أن يفعل، يستنجد بأي فكرة تجول بخاطره كي تلهمه بماذا يفعل، فحيرته تزداد كلما زاد إقبال الليل، يجد كل شيء مغيم كغياب القمر وسط السحاب، لا يدركه

البصر، كانعدام رؤيته لضالته، فرنت جملة سما في تفكيره في الحال:

"نحن نحتار لنستقر يا سيدي"

فأدرك أن الحل آت ولكن نحتاج فقط للصبر.

❊ ❊ ❊

بعد مرور قرابة ثلاثة أيام....

سما مرتدية نظارتها المعتادة، تجلس على مكتبها في العمل، مشغولة بإنهاء الأعمال في الموعد المحدد....

تسمع طرقات على باب مكتبها

سما بصوت مسموع: "نعم تفضّل"... "أهلاً أهلاً أستاذ أحمد.. تفضّل بالجلوس"

أحمد همّ بالجلوس: "شكرًا لكِ"

"لقد أوشكت على الانتهاء من الفيلا الخاصة بك، فقط ينقصها اللمسات النهائية"...

"أتنتظر معي لدقائق؟"

"نعم بالطبع، معكِ"

رجعت سما للعمل مرة أخرى، بينما أحمد يتجول بنظره في أرجاء المكتب، فشد انتباهه نافذة مفتوحة، فأخذته ليعلم ما خلف النافذة، إذ هي تطل على شارع رئيسي مزدحم بالسيارات....

سما بفرحة الانتهاء من عمل: "لقد انتهيت!!" مكملة "سأذهب لأطبع الفيلا يا أستاذ أحمد لتبدي تعليقك عليها".

ولكن أحمد مازال ينظر من النافذة، ولم يلتفت لكلامها....

سما وهي تحرك شفتيها باستغراب وذهبت لتحضر رسم الفيلا بعد الطبع...

رجعت سما ومعها رسم للفيلا، وما زال أحمد يقف عند الشرفة....

سما بصوت خفيض وهي تقترب منه: "أستاذ أحمد؟!"

تنبَّه أحمد إلى ندائها، ونظر لها بعينين حمراوين: "نعم أستاذة سما!، أنا آسف"

"أأنت متعب يا أستاذ أحمد؟ تفضل استرح، أأطلب لك مشروبًا دافئًا؟"

أحمد بصوت منهك: "لا لا، شكرًا"

سما: "إذًا.... يمكنك أن تعلق على الفيلا الآن" وأشارت بيديها إلى الرسم: "هذه هي..."

أمسك أحمد بالرسم وفتحه ونظر له وكأنه يبحث عن شيء مفقود فيها، ولكنه لم يجده: "حسنا، جيدة"

"أليس لك تعليق إضافي أو تعديل؟؟"

أحمد شعر وكأن سما تستفسر عن سبب حيرته: "نعم لي... "

سما وهي تركز في رسمة الفيلا: "إذًا ما هو سيدي؟"

أحمد مستفسرًا: "وماذا يفعل من كان لا يشعر بها؟"

"أهناك شيء في التصميم لم يعجبك؟"
أحمد يبتسم ابتسامة بصعوبة مكررًا: "قلت لكِ سيدتي مسبقًا أنها جيدة، ولكن ماذا يفعل من كان لا يشعر بها؟؟"
سما وهي تعيد نظرها إليه بعد ما كانت على الرسمة: "ماذا؟!"
أحمد في استطراد ناظرًا للفيلا: "جميل هذا التصميم، ولكن لن يكفيها كلمة جميلة، أليس هذا من رأيك سيدتي؟"
"نعم أستاذ أحمد، هذا رأيي"
"فأنتِ ما قلتِ إن الأشياء ليست بأشكالها وألوانها ولكن ما تحوي من مشاعر..."
سما لعلها تصل لنتيجة: "نعم هذا ما قلته لك، في يوم من الأيام!"
"حسنًا أنا لا أشعر بها..."
"إذًا عليك سيدي أن تحاول فهم مشاعرك تجاهها، ولماذا لا تشعر بها لهذا الحد؟"
أحمد وهو متجه نحو الكرسي: "سألت نفسي مرارًا وتكرارًا ولم أصل لنتيجة"
سما وهي تجلس على كرسي في الاتجاه المقابل: "إذًا يمكنك أن تغيّر في التصميم، هذا ما يجعله أقرب لإحساسك ومشاعرك"
أحمد وهو يمسك يده اليمنى باليسرى وينظر في اتجاه يديه: "وماذا يفعل من لا يستطيع أن يصل لأحاسيسه ومشاعره ويعرف ماذا يريد؟!"

"إذًا يحاول البوح لأحد يساعده على فهم مشاعره..."
أحمد يومئ برأسه مقتنعًا بما تقوله سما: "حسنا،.. أنتِ على حق".... مكملاً لإنهاء الحديث: "أستأذن بالذهاب الآن"
"والتصميم يا سيدي؟"
"أرسليه لي على البريد الشخصي، متشكر جدًا"
"حسنا، كما يروق لك"
"السلام عليكم"
"وعليكم السلام"

❊ ❊ ❊

في المساء بينما تجلس سما على الأريكة تشاهد التليفزيون على قناة السياحة العالمية وتأكل بعض المسليات، يرن هاتفها..
"لورين، حبيبتي، أفتقدك كثيرًا..."
"سما، قولي لي سريعًا عن أخبار العريس"
"كيف عرفتِ؟"
"اتصلت بوالدتك لأطمئن عليها، فقالت لي، لا تغيري الموضوع يا سما!"
سما مبتسمة: "أنا لا أغير الموضوع...."
"عريس طبيب عنده شقة وسيارة وعمله الخاص، إذا ماذا تريدين أكثر من ذلك؟"

سما وهي تضحك بسخرية: "لا أجد أكثر من ذلك الحقيقة"
"إذا ما هو رأيك؟"
"لا أعرف حقا يا لورين.."
"هاه؟ سأجنّ منك حتمًا يا سما"
"لا يا صديقتي الجميلة وكيف لي العيش بدونك؟"
"إذا لم تتزوجيه يا سما، سأزوجك أخي، وقد أعذر من أنذر"
"أتكرهين أخاك لهذا الحد يا لورين؟!"
لورين وهي تضحك: "بل أكرهكما معًا"
بينما سما تتحدث إلى لورين، يرن هاتفها بالإنذار برسالة جديدة على بريد الشركة.
"ثواني يا لورين، جاءت لي رسالة حالاً على بريد الشركة"
"الآن!! فكري بذاتك يا سما، كفاكِ بحثًا وعملاً"
سما بصوت غير واضح: "لورين، آسفة مضَّطرة لأنهي معك الآن"
لورين بصوت قلق: "سما هل أنت بخير؟"
"نعم، لا تقلقي حبيبتي، سأتصل بكِ لاحقا"
لورين: "تمام صديقتي، مع السلامة"
وتبدأ سما في قراءة الرسالة بصوت مسموع لها.....
"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أستاذة سما،
أنا بحاجة لمساعدتك، قد أكون مخطئًا أو أتجاوز حدودي ولكن اعتبريني حالة تحتاج للإنقاذ...

لا أعرف كيف أبدأ، ولكني سأكتب ما يجول بخاطري دون ترتيب، قد أخبرتني في يوم من الأيام أن التصميم جسّد مشاعري، نعم فهو حقيقي، التصميم جسّد مشاعر غربة، التي هي لازمتني منذ زواجي من مها، فلم أعد أتحمل نتيجة قراري بالزواج منها، لم أكن أريد أن أكسر مشاعرها وأن أتركها بعد وعدها بالزواج منها، ولكن هذا القرار الآن يكسر مشاعري، يكسر إحساسي بالحياة، ويشعرني بالغربة بالرغم من قربي من الناس، لم أعد أشعر بالأشياء التي كانت تبهجني، ولا يحزنني سوى حياتي.. نحن الآن أمام قرار الانفصال، ولكن صعوبة هذا القرار تجعلني متردداً حائراً.. ما عساي أن أفعل.. لم أفهمني.. أتفهمين أنتِ؟....

(أحمد) "

انتهت سما من قراءة الرسالة، وقد وجدت سبب حيرة وحزن هذا الشخص الدائمة..... تعيد قراءة الرسالة مرة أخرى لتفك الشفرات، وتفهم ما بين السطور..... .

بينما أحمد يجلس في ظلام غرفته يفكر، يرن جرس هاتفه بالإنذار بوصول بريد جديد....

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أستاذ أحمد، أعطِ لنفسك فرصة أن تقرأ الكتاب من جديد، هذا خياري لك..."

فأرسل لها في الحال "أي كتاب؟!"

"كتاب جديد عنوانه مها، وأعط لنفسك فرصة التعليق والملاحظة والتعديل، ولكن قبل أن تقرأه اجعل نفسك أفضل من يستحق قراءته، اجعل من نفسك أفضل قارئ لهذا الكتاب أولاً..."

فرد أحمد بعد ربع ساعة..

"وماذا يعني ذلك؟"

سما ترسل في الحال

"أعني الإعداد، أنت تائه في ذاتك سيدي، كل الأمور لديك أصبحت سواء لأنك تعاملت مع كل الأشياء بسطحية، جعلت من كل الأمور شكلاً واحدًا، وإحساسًا واحدًا، فاختصرت حياتك على اللونين الأبيض والأسود، أي نعم أن هذين اللونين اشتق منهما جميع الألوان الأخرى، ولكن سمحت للجمود أن يسيطر على حياتك ومشاعرك، ابدأ معها من جديد سيدي ولكن بعد أن تتغير أنت، بعد ما تغير نظرتك لنفسك والأشياء من حولك وتعيد ترتيب أوراقك من جديد، صدقني هذا يجعل الأشياء تختلف كثيرًا عندما يزيد شعورنا نحوها وفهمها بعمق، حاول لن تخسر... "

أحمد يرد بعد نصف ساعة من التفكير..

❊ ❊ ❊

"سأحاول....."

"وهكذا يمكننا بناء كثير من الأبنية بمواد مختلفة وبأشكال غير تقليدية، مادام هيكلها مترابطًا ومتماسكًا وموادها تحافظ على ما بداخلها من الأشخاص والأملاك، كمبنى السباحة الوطني ببكين، سُمي المبنى بمكعب الماء لأن فكرته تعكس وظيفة المبنى والبيئة الداخلية على شكله الخارجي، فكان البناء الخارجي على شكل فقاعات صابون وباللون الأزرق، فكان مختلفًا جدًا عن باقي الأبنية التقليدية، ولكن المبنى بدأ بفكرة مجنونة في التجربة والتنفيذ....."

بينما تستمع سما إلى المؤتمر الخاص بالديكور والتصميم المعماري، يرن هاتفها، فأخذت الهاتف وخرجت من المحاضرة بلطف، وردت....

"أهلاً يا والدي، كيف حالك حبيبي؟"

"أهلاً بكِ يا صغيرتي، أفتقدك عزيزتي"

"أنت أيضًا يا والدي"

"كنت أود أن أعرف رأيك في طارق يا سما".

"الجلسة الأولى بدت لي في أول الأمر أنها فكرة مجنونة ولكن هو بدا لي شخصًا مميزًا..."

"حسنًا، أهذه تعتبر موافقة؟"

"نعم يا أبي، سأدخل في التجربة"

سما مبتسمة وهي تسمع فرحة أمها في الهاتف جانب أبيها:
"تمام يا أبي، مع السلامة"
والدة سما لوالدها: "إذًا كلِّم طارق حالاً.."
رجعت سما تكمل سماع محاضرتها مرة أخرى، وجلست تستمع للمحاضر وهو يقول:
"وهذا ما توصلت إليه الأبحاث في التصميم والمعمار...."
بالرغم من أن المحاضرة كانت عن البناء، ولكن نزلت عند سما موقع استدراك لبناء علاقات جديدة بطريقة مختلفة دون الخوف من الفشل.....
بعد الانتهاء من المحاضرة وفي طريقها إلى المنزل رنّ هاتفها وإذا هو رقم غريب.
سما: "ألو، من معي؟... طارق"
"نعم يا سما لقد استأذنت والديك بالحصول على رقمك، حتى نتقابل المرة القادمة"
"آه، نعم، لا مشكلة"
طارق بكل ود: "هل أعطلّك عن شيء الآن؟"
"لا أبدًا، المحاضرة قد انتهت"
طارق يحاول الإمساك بخيط كي يكمل الحوار: "ماذا كانت تتحدث عنه؟"
"كانت تتحدث عن البناء..."

"رائع، أتقصدين الزواج؟ فهو أمر مهم للغاية.."
"لا، البناء المعماري"
طارق: "حسنًا، شيء لطيف"
صمت دام لثلاث ثوان....
"وماذا أضافت لكِ تلك المحاضرة؟"
"أن بناء العلاقات كبناء المباني"
طارق مستفهمًا: "كيف؟"
"السر في هيكل مبنى السباحة الوطني ببكين"
"أنتِ تقولين ألغازًا يا سما، إن شاء الله سأكون موجودًا ببيت العائلة يوم الجمعة وتشرحين لي هذا الأمر، أراكِ على خير، السلام عليكم"
"إن شاء الله وعليكم السلام"

❊ ❊ ❊

٥

يقود أحمد في طريق سريع وهو يفكر فيما قالته سما، وكيف عليه أن يكون جاهزًا لقراءة كتابه أولاً، تائهًا في نفسه، كالتائه في صحراء، لا يدري كيف يقرأ بوصلته...

في نفس الوقت فكّر في مها وكيف هو حالها الآن، فهو لم يعرف حالها منذ اللقاء الأخير....

فأمسك الهاتف بتردد كي يطمئن عليها، وطلب الرقم...

كانت مها في صالة الألعاب الرياضية، رنّ هاتفها ولكن لم تسمعه.. توقع أحمد أنها لن ترد، فذهب بسيارته في الحال لمنزل جده الذي اشتاق إليه كثيرًا في ذلك الوقت....

وصل أحمد إلى بيت جده وطرق الباب.

فتح الجد الباب محاولاً أن يتعرف على أحمد: "أحمد حفيدي؟!"

"نعم يا جدي، إنه أنا"

فحضنه جده وربت على كتفه، "ادخل يا أحمد يا حبيبي"..

وفي غرفة الاستقبال..

"أريد أن أطمئن على حالك وأن أتحدث معك قليلاً يا جدي".

"أنا بخير يا أحمد، أعيش بالصحة المتبقية، نحمد الله على كل حال، أتعلم يا أحمد؟".

"نعم يا جدي".

"بالرغم من عجزي ولكن روحي دائمًا شباب، دائمًا ما أحمد الله وأشكره على نعمه التي بين أيدينا"

أحمد وقد شعر بالعجز دون أن يكبر: "الله يزيدك صحةً وشبابًا يا جدي"

ضحك الجد محاولاً إضحاك أحمد: "ابحث لي عن عروس يا ولد فأنا أريد أن أحب من جديد"

أحمد يحاول الابتسام: "حاضر يا جدي"

"أتعلم يا أحمد؟ الحب الوحيد الحقيقي هو حبك لزوجتك وحبها لك".

"أنا يا جدي أبحث عن الحب الحقيقي، رغم كوني متزوجًا!!"

"ابحث عن السكنْ لا عن الحب يا أحمد، وهناك حب من نوع آخر تعيشانه سويًا"

"ما هو يا جدي؟"

فصمت الجد قليلاً ليستمع لأذان العشاء: "السكينة في حضرة ملكوت الله تعالى"

ثم أكمل: "تعالَ معي لنصلي جماعة في المسجد"

يمشيان معًا في طريقهما للمسجد:

"مهما كنت تعيش حياتك برفاهية، دائمًا ما ينقصك شيء اسمه الرضا، التي تنعش قلبك مع قلب مَن تُحب، هي السلام النفسي مع

نفسك ومع مَن تُحب، حياة من نوع آخر لا تشعر بها إلا إذا كنت عشته حقيقةً"

وبينما هما في آخر ركعة سُمِع صوت بكاء خفيض في المسجد، وبعد السلام الأخير، التفت الجد لأحمد، فوجده هو من يبكي.....

فتركه جده في مكانه وجلس بعيدًا على كرسي في المسجد ناظرًا له من بعيد...

أحمد رافعًا يده مبتهلاً في الدعاء: "يا الله.. أدعوك أن تُنير ظلمات قلبي كشروق شمسك في عتمة ليلِك، يا الله داوِ شروخ نفسي واجعل لطفك يجري لالتئام جرحي، اجعلني في هذا الكون جزءًا لا يتجزأ منه في حمدك وتسبيحك، يا الله اهدني لسكني ولسكينتي....."

بكى أحمد بكاء شديدًا وكأنه أول مرة يبكي في حياته،

وبعدما هدأ قليلاً وتنبّه لفراغ المسجد مسح دموعه والتفت يمينه وشماله فوجد جدّه ينتظرعلى كرسي بعيدًا عنه، فذهب إليه.

"كيف حالك الآن يا بني؟".

"الحمد لله يا جدي أشعر كأنه نور أضاء روحي"

"وهذا هو المطلوب يا حبيبي، هيا لنذهب..."

بينما هما في الطريق.....

"شعرتُ بك يا أحمد أنك حامل همّ الدنيا، يا بني المكان الوحيد الذي أجد فيه روحي هو المسجد، أصلي مع المصلين وأبتهل إلى الله،

وتتركني هموم الدنيا" ثم أكمل وهو ينظر للسماء: "كنت كلما أقع في مشكلة أو أحتار في أمر ما أذهب للمسجد وأشعر بالسكينة تهديني بعد ذلك لما يجب عليّ فعله، اذهب يا أحمد حيث تتوجه روحك الآن، ولا تعذبها بانشغالك عنها في زحمة الحياة مرة أخرى"

أحمد مبتسمًا ابتسامة صافية: "حاضر يا جدي... الحمد لله الذي هداني إليك".

الجد مداعبًا: "لا تغب عني بعد ذلك يا ولد"

أحمد يقبل رأس جده: "حاضر يا جدي الحبيب"... "سأذهب الآن"

الجد: "في حفظ الله"

❊ ❊ ❊

أوشكت مها على النوم، بينما تنظر في ساعة الهاتف، فوجدت اتصالاً فائتًا من أحمد، دق قلبها سريعًا في الحال واعتدلت وقالت في نفسها: "ماذا تريد يا أحمد؟"

"أنا بخير الحمد لله"

رسالة من مها قرأها أحمد على هاتفه ثم قال لنفسه: "أتمنى ذلك فعلاً يا مها".

"أنت خير من يمثل الشركة يا أحمد".

"إن شاء الله يا فندم سأقوم بالمهمة بنجاح".

"إذًا، السفر الأسبوع القادم بإذن الله".

"بإذن الله يا فندم".

خرج أحمد من مكتب المدير وهو يفكر كيف سيقضي هذه السنة في كاليفورنيا بعيدًا عن أهله وبلده، ولكن صوتًا داخليًا يناديه للبعد عن الصورة لعله يراها بشكل أوضح، فعزم أحمد على التجهيز للسفر بأسرع ما يمكن.

وبعد أسبوع.....

في المطار ينتظر أحمد موعد رحلته، يجلس ورأسه للخلف قليلاً، صوت داخلي يعاود التحدث إليه..

"أحمد قد تذهب ولا تعود، وقد تذهب وتعود لحياتك، فهو خيارك أن تجعلها كما هي أو تتغير وتغيرها، الموضوع كله بيدك، إمّا أن تتغير بإرادتك، أو أن يغيرك مرور الوقت كما يحب ويشاء، أن تستسلم أو تحارب من أجل نفسك أولاً ومن أجل من حولك، الفرص لا تأتي كثيرًا في العمر، فاستعن بالله، ستكون أو لا تكون...."

فتنبه للنداء الآلي ففتح عينيه فجأة وقام وسار بخطوات هادئة نحو الطائرة تزيد سرعتها مع تزايد عددها، نظراته تسابقه وفكره يسابقهما.....

❊ ❊ ❊

"خبر سعيد فما هو؟".

"ما هو لورين؟ حيرتيني معكِ".

"سما فكري مرة أخرى".

"خطوبتك؟!".

لورين والفرحة تملأ صوتها: "نعم يا سما أخيرًا أخبرني أنه يحبني ولا يريد غيري زوجة له".

سما: "مبارك عليكما يا صديقتي، كدت أفقد الأمل فيه".

لورين وهي تبتسم: "وأنا أيضًا".

"إذًا قولي لي ماذا جعل حازم أفضلهم في نظرك؟".

لورين وهي تنظر لأعلى: "طوله مناسب، شكله جذاب، محترم، يعمل بشركة دولية ووعدني بنقل مكان المعيشة في منطقة أرقى خلال سنة من الزواج"

"المهم أنك سعيدة يا لورين"

"نعم جدًا" وأكملت "وبهذه المناسبة، سأدعوكِ للعشاء بالخارج، ما رأيك؟"

"موافقة بالطبع"

لورين وهي تخرج هاتفها من حقيبتها: "سأكلم أخي حتى يأتي لي بالسيارة إلى هنا، أخذها مني لأن سيارته في الصيانة، سأتصل به حالاً".

لورين: "ألو، نادر، أين أنت؟"

نادر: "لورين أنا قُرب المنزل حبيبتي"
"أيمكنك يا أخي الحبيب أن تأتي عند بيت صديقتي؟" فأكملت:
"العنوان هو ٥ ش النور"
لورين وهي تنظر لسما: "هيا بنا"
وبعد دقائق من وصول نادر....
"هذه هي صديقتي سما"
نادر مادًا يده بالسلام: "أهلاً وسهلاً..."
سما مبتسمة ولكنها لم تمد يدها برد السلام: "أهلاً وسهلاً أستاذ نادر"
نادر منزلاً يده وبشيء من الإحراج: "آسف"
سما مبتسمة في الحال وتخفف من الموقف وهي تمسك بيد لورين "نريد أن نحتفل بلورين".
"إذًا فماذا تقترح لنا أن نذهب؟"
"أعرف مكانًا مناسبًا تباع فيه القهوة وبه مكان رائع للقراءة"
"رائع"
فضحكت لورين قائلة: "نقول لك نحتفل... نحتفل يا نادر"
فأكملت وهي تنظر لسما: "سأجنّ منكما"
فضحكا من رد فعل لورين ...
نادر مادًا يده بمفاتيح السيارة للورين: "ها هي اذهبي حيث شئت"
لورين وهي تأخذ المفاتيح: "شكرًا يا أخي الحبيب"

وبعد أن وصلت سما ولورين لمطعم للأكل الشامي....
لورين: "ما هو شعورك الحقيقي تجاه طارق يا سما؟"
سما وهي تأخذ نفسًا عميقًا: "كل شيء ممتاز وعلى ما يرام وهذا ما يقلقني"
لورين وهي تترك الأكل من يديها: "وضحي لي أكثر يا سما، أنتِ تفهمين أني لا أحب ألغازك"
سما مبتسمة: "أكملي الطعام وأنا سأوضح لكِ وجهة نظري"
فعاودت لورين للأكل مرة أخرى: "ها؟..."
سما وهي تنظر لأعلى قليلاً ثم تنظر إليها مرة أخرى وهي تضع يدها اليمني على كتفها اليسرى وكأنها تغطي قلبها: "خائفة أن أحبه يا لورين"
"أنتِ بالفعل أحببتِه يا سما"
"لماذا تقولين لي ذلك؟!!"
"من يخاف أن يحب فقد صعد أولى خطوات الحب بالفعل ولكنه خائف أن يكمل الطريق"
سما وكأنها تسمع صوت قلبها من لورين...
لورين مكررة: "أنتِ أحببتِه يا سما"
"أنا خائفة يا لورين، قد تكون نظرتي الأولية له خطأ، ولم يمر بيننا الكثير من المواقف حتى أحكم الحكم الصحيح و...".

"وهذا لا يجعلنا نخاف يا سما، بل يجب علينا أن ننفتح على الحب أكثر حتى نستقبل أكثر، ونفهم أكثر، بشرط ألّا نغمض أعيننا"
لورين مكملة: "أحبي يا سما، ولا تخافي من الألم، انفتحي للألم كانفتاحك للحب، وسامحي نفسك".
سرحت سما كثيرًا في هذا الكلام.....
لورين مقاطعة حبل أفكارها: "هذا ليس كلامي، سمعته اليوم في برنامج صباحي قبل أن آتي إليكِ"
سما وهي تضحك ضحكة عالية....
لورين: "سما أنتِ لم تلمسي شيئًا من طعامك! تناولي طعامك"
سما وهي مبتسمة وتتناول كوبًا من الماء بجانبها: "..... حاضر"

❊ ❊ ❊

في غرفة في منزل بولاية كاليفورنيا..
يسند أحمد ظهره على كرسي هزاز بجانب أباجورة ذات إضاءة خافته يمسك ورقة وقلمًا، يحرك القلم على الورقة حركات دائرية دون أن يكتب شيئًا، فهو لم يعتد على التعبير عمّا يدور بداخله، فترك القلم والورقة جانبًا وأمسك هاتفه وشغّل المُسجِل محاولاً التعبير عنه بالكلام....
وبدأ يتحدث أحمد بجمل قصيرة غير متصلة...

"مر... مر... مرّ أسبوع وأنا أعمل بجد... أحببت هذه البلدة... أشعر بالغربة نوعًا ما... هذه أول تجربة لي أن أسجّل يومياتي....."

"أشعر بالحماقة في هذا التصرف.."

ثم أغلق أحمد المُسجِل، قائلاً: "ما هذا الذي أفعله؟!"

ثم قام وبدَّل ملابسه وخرج لاكتشاف شوارع المدينة....

فشاهد رجلا يبيع المثلجات، فذهب إليه ليشتري منه فقد مضى وقت طويل لم يأكل ما يحبه: "please give me this؟ "

البائع: " here you are "

أحمد مبتسمًا: " thank you "

أحمد واضعًا يده اليسرى في جيبه، واليد الأخرى تأكل..

في طريقه وجد طفلاً يلعب بكرة، فخطف منه الكرة ولعب بها والطفل يحاول أن يلحق به، إلا أنه حمل الطفل وقبّله ثم تركه مع كرته...

وبعد مرور ساعة من السير في الشارع...

رجع أحمد لغرفته ورمى نفسه على سريره بملابسه، وأمسك هاتفه وفتح المُسجِل في محاولة للتعبير مرة أخرى...

"سعدتُ جدًا في نزهتي اليوم في المدينة، فقد اشتقت للعب وتناول ما أحبه منذ وقت طويل، ولكن فعلت بعضًا منه اليوم...."

ولم يجد أحمد المزيد لقوله واكتفى بذلك....

ثم حفظ الملف تحت مُسمى (ما أحتاجه)

في التجمع الأسبوعي العائلي....
"السلام عليكم يا أمي"
والدة سما: "وعليكم السلام حبيبتي تعالي، جئتِ في وقتك، أريد مساعدتك في تحضير الطعام، طارق سيأتي اليوم"
"حاضر يا أمي"
وبعد ساعتين..
الأم: "ها قد انتهينا أخيرًا، ماذا ستفعلين الآن يا سما؟"
"بعض من المشروبات والحلويات يا أمي"
الأم وهي مبتسمة: "أما أنا فسأنصرف لأرتاح قليلاً"
سما وهي تُقبّل أمها: "تفضّلي يا أمي"
وبعد مرور ساعة....
"سما كل هذا بالمطبخ، ارتاحي قليلاً قبل قدوم طارق"
"لقد أوشكت على الانتهاء يا كوثر"
وبعد مرور ساعة أخرى.....
"سما، طارق قد وصل"
"إذًا، سأذهب لأتهيأ يا كوثر"
كوثر مبتسمة وهي تنظر لسما، ابتسامة نتيجة التغير الواضح على سما، بل على كل فتاة، بدأ قلبها يدق لأحدهم..... .
طارق مبتسمًا: "أهلاً وسهلاً يا سما"
"أهلاً بك يا طارق كيف حالك؟"

"أنا بخير"

طارق مداعبًا ويحاول أن يعلم السر: "وكيف حال المبنى الوطني للسباحة؟"

سما مبتسمة وتفتح هاتفها على صورة المبنى: "ما رأيك فيه؟"

طارق ممسكًا بالهاتف: "جميل للغاية، يا له من ابتكار فريد من نوعه"

طارق متسائلاً: "إذًا فما هو سره المتخفي فيه لبناء العلاقات؟!"

"لقد قلته أنت دون أن تشعر"

"ماذا؟ متى؟"

سما وهي تضحك: "فريد، نعم فريد ومن لا يريد أن تكون علاقته بمن حوله فريدة من نوعها، مختلفة عن باقي العلاقات وخصوصًا الزيجات!"

طارق محاولاً لفهم ما تقصد...

سما موضحة: "المبنى ما أُقيم مثله من قبل وبالرغم من ذلك نجح في أداء وظيفته في حماية الناس"

وأكملت: "كذلك علاقة الأشخاص ببعضهم، قد تجمعهم الظروف بشكل تقليدي أو غير تقليدي، ولكن إذا اندمجوا بالشكل الصحيح، سيكونون علاقات ناجحة مميزة"

طارق متسائلاً: "وكيف نقارن الجماد بالبشر؟"

سما: "وما صنع الجماد سوى بشر.. روح البشر تضفي ما بداخلهم على الجماد، لسهولة التعامل معه ولأنه طوع سهل في أيديهم، ولكن نفس هؤلاء الناس يجدون صعوبة في التعامل مع البشر فهم حساسون للغاية..."

طارق محاولاً جعل المناقشة شخصية: "تقصدين أني لا أشعر بالناس لأني أتعامل معهم مباشرة في عملي كطبيب؟"

سما ضاحكة: "لا لم أقصد ذلك، قد يكون إحساسك بالناس ما يجعلك تؤدي وظيفتك بنجاح"

فأكملت....

"من لا يشعر لا يتفاعل، ومن لا يتفاعل لا ينجح، حتى وإن بدا له أنه نجح ولكنه سيصطدم بالفطرة التي خُلق عليها وهي عليه أن يشعر بالشيء أولاً، حتى يكون نجاحًا حقيقيًا".

"ستكونين أُمًا ممتازة يا سما" ثم صمت لبرهة ثم قال: "أتتزوجينني يا سما؟".

فجاوبته ابتسامة سما الممتزجة بشيء من الإحراج.

❊ ❊ ❊

٦

بعد مرور شهر....

"أشعر بحرية لم أشعر بها من قبل، كنت أفتقدها بشدة ولكني وجدتها الآن، أخيرًا وجدتها، في عمل ما أحبه وقتما أشاء، حرية الاختيار، التصرف والتفكير، يالـه من إحساس رائع، إحساس افتقدته معكِ يا مـ."

لم يكمل أحمد الكلام وأغلق التسجيل في هدوء وحفظ الملف كالعادة.

في نفس الوقت رنّ جرس الباب، فقام وفتح أحمد الباب، إذ هو جاره الأمريكي مارك الذي تعرّف عليه في هذه الفترة.

فحياه بالإنجليزية: "أهلاً وسهلاً، تفضّل بالدخول"

مارك قائلاً: "شكرًا يا أحمد"

أحمد متسائلاً: "ماذا بك يا صديقي؟ يبدو عليك التوتر".

"زوجتي يا أحمد، كم أنا قلق عليها للغاية، فهي حامل في ابننا الأول وهي على وشك الولادة في الأيام القليلة القادمة"

أحمد مُطمّئِنًا: "لا تقلق يا صديقي، ستكون هي وابنك بخير"

"أخاف أن يصيبها مكروه في الولادة، فأنا لا أملك غيرها في الدنيا"

"حقيقي! فماذا عن عائلتك؟"

"متواجدون"، ثم أكمل: "ولكن هي من أشعرتني بوجودهم، هي من أضاءت لي الحياة وأعادت إليّ روحي، كنت أكاد أن أجن وأموت،

ولكن ظهرت في الوقت المناسب لتضفي على حياتي معنى، فعرفت لماذا أعيش، وكيف أعيش..."
أحمد مستمتعًا بما يسمع: "قد أراها عبقرية، لتفعل كل ذلك بك"
مارك مبتسمًا: "زوجتي عمياء فهي فعلاً زوجة عبقرية"
"ماذا؟!"
"نعم، ولكنها هي من أنارت لي دربي وجعلتني أنظر لحياتي بعينين لامعتين"
أحمد يستمع في هدوء...
"أحبها كحب الأب لبنته الصغيرة، لا يفزع من عيبها، ويستمتع في مساعدتها"
خرج أحمد من صمته بسؤال: "إذًا برأيك ما هو الحب يا مارك؟"
مارك مسترجعًا كل ذكرياته الجميلة: "الحب يا صديقي، أن ترى الدنيا بعينين مختلفتين، ولكن أجمل من عينيك، حتى وإن كانتا مُصابتين بالعمى....." وسكت مارك لبرهة ثم قال:
"أعلم أنك مسلم، ادعُ لنا كي تنجح عملية إرجاع بصرها"
أحمد مبتسمًا: "حاضر يا أخي"
مارك بابتسامة واسعة: "أنْسيتني يا أخي لماذا أنا قادم إليك...."
"آه... لأطلب منك بعضًا من الملح، لأني أعدّ غداء اليوم"
"حالاً يا صديقي"
انصرف مارك وبقي أحمد بابتسامة تقول الكثير.....
ثم أعاد أحمد فتح التسجيل قائلاً:

"الحرية أجمل مع شخص يحتوي حريتك، ويعترف باحتياجك لها، فسكنك لهذا الشخص، سيجعل قيدك معه منتهى الحرية"
فجأة سمع أحمد أصواتًا عالية بالخارج، جعلته ينتهي من التسجيل مُرغمًا..
و فتح الباب، فإذا هي زوجة مارك على وشك الولادة ويساعدها زوجها للنزول للذهاب للمستشفى..
ارتبك أحمد قليلاً ثم قال لمارك: "هل لي أن أساعدك؟"
مارك مسرعًا: "نعم يا صديقي، خذ مفاتيح السيارة"
أحمد في ارتباك شديد: "حاضر، حاضر.."
نزل أحمد وجهّز السيارة سريعًا لمارك ولزوجته..
ركب مارك وزوجته وعرض أحمد أن يركب معهما...
مارك: "تعال"
جلس أحمد في الكرسي الخلفي وهو قلق جدًا على زوجة مارك بسبب صراخها الذي يزيد مع الوقت...
"انتظرا أنتما هنا من فضلكما" إحدى الممرضات تنبه أحمد ومارك"

❊ ❊ ❊

تقف أمام المرآة سما بكل معانيها الأنثوية تساعدها كوثر في ضبط فستان خطبتها التي ستُقام بعد دقائق قليلة، نادت الأم كوثر فخرجت لها في الحال، وظلت سما أمام المرآة، تحدث صورتها:

"كم أنتِ جميلة اليوم يا سما، كم كنت أفتقدك كثيرًا في هذا القلب والقالب، ها أنتِ بفستان أنيق تتوجين به أنوثتك لتظهري بأسمى معانيكِ فقط لرجل اختاره عقلك وقلبك، الفستان مناسب لكل تفاصيلك ولون بشرتك، جيدة تلك الخيّاطة فهي صنعت فستاني بذكاء، أرجو حياة مع طارق مُفصَّلة كهذا الفستان الأنيق"
فاستدارت سما أمام المرآة لترى الفستان من الخلف:
"ولكن هل يا ترى سيضيق فستاني عليّ؟ أم سأظل متألقة به؟"
في تلك اللحظة فتحت كوثر باب الغرفة وبدأت العمل في ضبط فستان سما مرة أخرى.....

❊ ❊ ❊

مرّ من الوقت ساعة...
خرجت الممرضة بالولد الرضيع، وأعطته لأحمد قائلة: "مبروك لك"
اهتزت يد أحمد ولم يعرف كيف يمسكه في بادئ الأمر، حتى أحكم الأمر...
نظر له نظرات مليئة بدموع خفية قائلاً في نفسه:
"أهلاً بك في دنيانا يا صغيري.. كنت نطفة في رحم أمك، والآن أنت نطفة في رحم الدنيا، ولكنك لست وحدك من يحتاج للرعاية لينضج..."
ظهر مارك في الحال من بعيد، واقترب منهما بخطوات بطيئة وهو مبتسم ..
"هذا صغيرنا يا ماري"

تحسست ماري الطفل الرضيع ثم قالت: "أيشبهك أم يشبهني يا مارك؟"
"بكل تأكيد يشبهك حبيبتي، نفس جمال عينيكِ"
"حبيبي مارك، فماذا سنسميه؟....."
أحمد ينظر من بعيد لهذا المشهد وعينه تملأها دموع حقيقية لا يعرف مصدرها، هل لأنه وجد أحاسيس صادقة لأول مرة تهز قلبه لهذا الحد؟ أم أنه افتقد شعوره للاستقرار النفسي، لتقبل الآخر بهذا القدر؟ أم لأنه لمس حبًا حقيقيًا، لم يره في الواقع من قبل؟

❊ ❊ ❊

ترك أحمد الغرفة وانصرف بهدوء من المستشفى...
"منذ متى وأنتِ تعرفين سما يا لورين؟"
"سما مخطوبة يا نادر"
"وأنتِ تعلمين أني لا أفكر بالزواج إطلاقًا يا لورين"، ثم أسند ظهره إلى الأريكة قائلاً: "الحياة مريحة لي وأنا أعزب"
بينما تجلس لورين على الأريكة المجاورة، فمدت يدها على أقرب وسادة ورمتها على أخيها قائلة:
"إذًا ابقَ أعزب"
فقام نادر من مجلسة قائلاً: "نعم سأبقى أعزب، مرتاح البال والضمير"
لورين: "اهرب يا نادر، أنت إنسان جبان، تهاب الصعود للمرتفعات"

نادر متسائلاً: "أتقصدين أن الزواج مرتفعات؟"
لورين بكل ثقة: "نعم مرتفعات وأنت لا تعلم كيف تتسلقها"
نادر متعجبًا: "إذًا وما الذي يجعلني أتعرض لهذا الخطر؟ هيه؟"
"إذًا اذهب يا نادر، لن تفهم كلامي"
نادر وهو ذاهب لغرفته: "نعم سأذهب.. سأتكلم مع من يفهمني أكثر منك"
لورين بصوت عالٍ: "مَن يا ترى هو مؤلف اليوم؟"
نادر راجعًا للجلوس مرة أخرى ومعه الكتاب: "المؤلف هو عباس محمود العقاد، وقد تحدث عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم"
لورين: "صلى الله عليه وسلم" وتردد الكلمة وهي تفكر "عبقرية؟.. عبقرية؟.. وماذا عن القلب؟"
نادر مجاوبًا: "بكل تأكيد سيدنا محمد كان عبقري الفكر والوجدان"
لورين: "أتحدث عنك يا أخي.. ماذا عن قلبك؟!.. تقرأ بما فيه الكفاية، ألن تفتقد لإحساس القلب؟"
وبدأت لورين تسرح في كلماتها.." ألن تحتاج إلى شخص يلمس قلبك، يثني على أفعالك، يقف بجانبك وقت احتياجك ويربت على كتفك و...."
قاطعها نادر: "كفى كفى... إلى أين سيأخذك خيالك؟ هيه"
لورين: "هكذا أنت في كل مرة نتناقش فيها يا نادر تأخذ كلامي على محمل اللهو واللعب"

نادر مداعبًا: "لا بكل تأكيد يا أختي الوحيدة، أنا أخوكِ الكبير وعليّ احترام عقلك الصغير"
قالها ثم هرب نادر قبل أن ترمي عليه لورين الوسادة الأخرى..
ثم رجع مرة أخرى سائلاً: "قلتِ لي منذ متى وأنتِ تعرفين سما؟"
ثم ضربته لورين بالوسادة بالفعل...

❊ ❊ ❊

"احجزي لي كشف آخر اسم من فضلك"
"أتشرف باسم حضرتك"
"سما خطيبة دكتور طارق، ولكن لا تخبريه أني هنا"
"أهلاً وسهلاً بكِ، حاضر"
"أدخلي المريض التالي يا كريمة"
"حاضر يا دكتور"
بينما طارق منهمك في العمل ينظر في أوراقه شعر بدخول المريض الأخير قائلاً: "تفضّل بالجلوس"
سما بابتسامة خفيفة: "أشعر بصداع يا دكتور طارق"
طارق متفاجئًا: "سما!، كيف حالك؟ كيف عرفتِ الطريق؟"
سما: "من وصفك له"
طارق: "آه.. أنا مشغول جدا يا سما اعذريني، انتظري حتى آخر مريض"
سما وهي تضحك: "أنا آخر مريض"

طارق مبتسمًا: "إذًا عليكِ الانتظار حتى أنهي ترتيب أوراقي لهذا اليوم"
سما: "إذًا سأنتظرك بالخارج"

❊ ❊ ❊

يمشيان على طريق طويل على البحر..
"اعذريني يا سما إذا كانت طريقتي معكِ غير لائقة وأنا في العيادة"
"أبدًا يا دكتور أنا أعلم ظروف عملك، كيف حال العمل اليوم؟"
"كانت عندي مريضة اليوم تعمل من أجل كسب العيش لها ولأولادها، ولكنها مرضت ولا تعلم كيف تكسب رزقهم بعد الآن"
سما: "كم حالها مؤسف، أيمكنني أنا أساعد بأي شيء؟"
"لقد توليت الأمر يا سما، بفضل الله"
ثم أكمل طارق: "كم هو مؤسف حقيقي أن ترى أرق مخلوق على وجة الارض يعمل ويبحث عن رزقه بنفسه"
سما متسائلة: "ماذا تقصد؟"
"أقصد أن تعمل حواء التي خُلقت من ضلع آدم وتبحث عن رزقها بدلاً من آدم" ثم أكمل "فهي أرق من أن تبحث عن عمل وتجهد بدنها وقلبها وعقلها في العمل".
سما وهي تبتسم في استغراب: "ولكن أنا أعمل يا طارق..."
طارق ناظرًا لها: "فهذا ما يحيرني يا سما، كيف لكِ أن تستطيعي أن توازني بين رقة قلبك وعقلك وبين عملك وأبحاثك وبيتنا وأولادنا

في المستقبل؟ فهي معادلة تبدو صعبة، وقد ترجح كفة على كفة في النهاية، أليس كذلك؟"

سما: "رقة المرأة وأنوثتها لا ترتبط بنوع عملها، خصوصًا إن كانت تعمل ما تحبه، كما أنه أحيانًا يكون نجاح المرأة في عملها هو دافع للنجاح في جميع حياتها، حتى مع زوجها وأولادها"

بينما كان يفكر طارق في كلامها، مرّ رجل يبيع البطاطا المشوية على الطريق، فنظرت سما لطارق ولكنها أحرجت من الطلب، ومضيا في طريقهما قدمًا، حتى وصلا لمنزل سما...

يقف طارق وسما عند منزلها، تنظر سما في عين طارق وتسأله بعد تردد دام دقيقة: "لماذا أنا يا طارق؟"

طارق محاولاً الاستفهام: "ماذا تقصدين؟"

"أقصد لماذا اخترتني أنا؟"

"لماذا هذا السؤال يا سما؟ لا تسيئي فهمي.."

سما وهي تبتسم: "بل أصبت كل الفهم"

❊ ❊ ❊

٧

بعد يومين...

"ألو سما"

"ألو طارق"

"أين أنتِ الآن؟"

"أنا في بيتي في القاهرة"

"كنت أريد أن أقابلك لأتحدث معك قليلاً، سآتي إليك القاهرة قريبًا.."

سما: "أيمكنك التحدث الآن؟"

سكت طارق قليلاً ثم قال: "سما، أيمكنني أن أعاملك كصديقة ليوم واحد؟"

سما وقد اعتدلت في مجلسها: "كيف؟!"

طارق: "طرأ على بالي فكرة مجنونة وأريدك أن تستوعبها وننفذها"

سما في لهفة شديدة: "أعشق الأفكار المجنونة، قل لي ما هي؟"

طارق بعد تردد: "أريد أن نتحرر من الارتباط ليوم واحد فقط ونتعامل كصديقين"

سما في استغراب شديد: "ولماذا؟"

طارق موضحًا: "يا سما، أنا عادة شخص يتبع القواعد والتعليمات، شخص منظم، وعملي للغاية، كادت حياتي كلها للعلم

والعمل، فقدت معنى اللهو واللعب، حياتي كلها تقريبًا تسير في تصاعدية، أكره الفشل، ومتجه نحو ما أصبو إليه بخطا ثابتة والحمد لله، لذلك أريد أن أخرج عن القواعد ولو ليوم واحد، أن أخرج من قالبي ولو ليوم واحد، ونزيل القناعات التي نبدو بها مناسبين لبعضنا البعض، يوم لا نجتهد فيه لنظهر فيه أحسن ما لدينا، بل نظهر فيه على طبيعتنا، أعتقد هذا ما أحتاجه، إذا كان هذا مناسبًا لكِ أيضًا فقولي لي رأيك"

سما بعد تفكير: "أنا مع هذه الفكرة، و لكن كيف سننفذها؟"

طارق في سرعة وكأنه مُستعد لها منذ فترة: "أريد أن أتحدث معكِ وكأنك صديق أو صديقة، أتحدث معكِ فيما أملك في جوف نفسي دون أن يتم الحكم عليّ، دون أن أشعر أني مراقب، وأريد أن أسمع منك دون أن تخافي أيضًا، أريدك أن تتقبليني صديقًا جديدًا في حياتك، ولكن هناك شرط في هذا اليوم؟"

سما مبتسمة: "إذًا فما هو؟"

طارق موضحًا الشرط: "ألّا نلبس الدبل في هذا اليوم، ولا تتزيني، كوني على طبيعتك، لا أريد أن أراكِ كامرأتي بل صديقتي، أتفهمين ما أقصده يا سما؟"

سما وهي تقول في نفسها: "وكيف لي أن أراك غير رَجُلِي؟!"

"لماذا أنتِ صامتة يا سما؟"

"لا.. بل موافقة على هذا الرأي، لنجرب لمَ لا؟"

طارق: "إذًا فلنحدد وقتًا وموعدًا"
سما مبتسمة: "تمام"
وفي اليوم والميعاد المحددين في حديقة عامة بالقاهرة...
ذهبت سما من العمل إلى المنزل مبكرًا في ذاك اليوم، ودخلت غرفة نومها كي تتهيأ لمقابلة طارق..
سما وهي تفتح خزانة ملابسها، وقعت عيناها على اللون الوردي وأرادت أن ترتديه، ولكن تذكرت أن اليوم هو يوم مختلف ويجب عليها أن تلبس ما تلبسه في كل يوم، فأخذت الملابس الرمادية فهي تحب هذا اللون في الحقيقة...
وقفت سما أمام المرآة كثيرًا قبل أن تهم بالانصراف، أرادت أن تكون أجمل مَن يرى طارق في هذا اليوم، ولكن اليوم يحتم عليها أن تكون على طبيعتها تمامًا..
فمن تحب تحب نفسها وتشعر بالجمال كثيرًا فيها وتحب إبراز كل قطعة جمال فيها لمن تحبه فقط، ولكن اليوم لا يسمح بذلك...
فخرجت سما من باب شقتها وأغلقت الباب خلفها.
تجلس سما على أريكة خشبية تنظر في ساعتها منتظرة طارق في حديقة عامة اختاراها معًا كي تكون موعد لقائهما..
"هذا لكِ"
سما متفاجئة: "طارق! أنا أعشق الذرة، شكرًا"
جلس طارق بجانبها وبدآ بتناول الذرة ثم قال وهو مبتسم:

"أتعرفين يا سما، أشعر أني أريد الآن أن أجري في هذه الحديقة كالأطفال" ثم نظر لها ثم قال: "ألم تشعري بهذا الشعور من قبل؟"
سما تقول ضاحكة: "أنا أجري دائمًا عندما أتأخر عن العمل، أنزل مهرولة للشارع"
ضحك طارق عاليًا.. ثم قال بعد أن سرح قليلاً: "سما، من الشخص الذي كنتِ تتمنينه زوجًا لكِ؟"
ثم ردت في الحال: "نورمن فوستر"
طارق :"مَن هو؟"
سما وهي تنظر للسماء وهي تبتسم: "ومن لا يعرف نورمن فوستر"
طارق: "أنا لا أعرفه"
سما وضحت بيديها بأنه: "من أشهر المعماريين في العالم"
طارق: "لماذا تمنيتِه إذًا؟"
"لأنه شخص ألهمني الكثير في عملي، كان يأبى نسخ المباني الكربونية من بعضها، فكان ينشئ مبانٍ تقوم على توازن البيئة التي تقام فيها والناس الذين يسكنون بها، كم أحب هذا الرجل" ثم أكملت.. "وأنت؟"
طارق: "أنا ماذا؟"
سما: "من الشخصية التي كنت تتمنى الزواج منها؟"

طارق وهو ينظر أمامه: "شخصية قابلتها في إحدى سفرياتي، كانت طالبة علم وتتمتع بالأناقة واللباقة، كانت أنثى بمعنى الكلمة، يحتوي كلامها على رقة وحنان غير طبيعيين، كم كنت أتمناها..."
شعرت سما بغيرة غير طبيعية وبأنها تريد تغيير مجلسها فوقفت.. ثم أكملت "ولماذا لم تتقدم لها؟"
طارق نظر لها: "لماذا وقفتِ؟ أتريدين أن نغير المكان؟"
سما جالسة مرة آخرى: "لا أبدًا"
طارق مكملاً في حديثه: "لأني ببساطة اكتشفت أنها متزوجة، ولكن لم يظهر عليها..."
سما وقفت مرة أخرى: "أريد أن أغير المكان... هيا بنا"
طارق مستغربًا: "هيا بنا نتجول في الحديقة.."
"لماذا كل الرجال لا يعترفون إلا بالأنوثة الظاهرة؟"
طارق متسائلاً: "ماذا تقصدين؟"
سما موضحة: "أقصد لماذا معظم الرجال يحكمون على البنت من أنوثتها الظاهرة فقط؟ هناك من البنات اللائي يحرجن من إظهار أنوثتهن على العام، ويخفينها سرًا عن الأعين في صندوق ثمين داخلهن، ويخرجن هذا الصندوق عندما يستدعي الموقف ذلك وبشكل أوضح مع أزواجهن فقط".
طارق: "لأن الرجل ببساطة يا سما، إنسان بسيط، لا يفهم إلا ما تراه عينه"

سما: "نعم هذا أمر صحيح، نادرًا ما تجد رجلاً يفهم الأنثى بكل تفاصيلها وكل دقائقها الأنثوية ويفهم تربيتها، وهؤلاء البنات يردن أشخاصًا يفهمون طبيعتهن وبيئاتهنَّ التي نشأن بها، ويفهمون سرائرهن حتى يعلموا أن الظاهر ليس هو الكل، بل قليل من كثير جدًا بداخلهن".

طارق: "ولكن الرجل يصعب عليه الدخول بكل هذه المغارات.. فهو في الزواج يريد أن يشعر بأنه رجل لامرأة في النهاية، امرأة ليست كامرأة رآها من قبل في حياته، ولكن امرأة يشعر جانبها برجولته وأنه يريد حمايتها".
سما: "وجزء من رجولة الرجل أن يُشعِر المرأة بأنوثتها، وينجح في أن يجعلها تحب هذا الجزء الخاص جدًا بها، لأنه كان السبب في أن تفتح هذا الصندوق الخاص جدًا له فقط" ثم أكملت سما وهي مبتسمة... "كل فتاة هي أنثى في النهاية ولكن كل فتاة ولها طريقتها الخاصة في التعبير والتدريج في إظهار هذا الشيء".
طارق: "أتعلمين أن هناك العديد من الفتيات اللائي أراهن في مكان عملي في المستشفى ولكن لا أجد فيهن ما يستحق الحماية، فهن يرتدين أنوثة قوية...خشنة".
سما: "وهؤلاء من تلك الفتيات يا طارق، كان يجب قبل أن تحكم عليهِن أن تعاملهن في أكثر من وقت ومكان مريح بالنسبة لهِن،

صدقني لوجدت الكثير ما تحبه في شخصياتهن، أنت لم تعط لنفسك الفرصة للتعرف عليهنَّ".

طارق بابتسامة واسعة وهو ناظر إليها: "لقد علمتِني الكثير يا سما".

ثم استطرد وهو ينظر أمامه: "أنا لم أتعامل مع الحياة ومع الناس بالشكل الذي تتحدثين عنه، كنت أرى الحياة بعيون عملي فقط، فأقيس كل شيء بما يجب وبما لا يجب، ولم أحب المنطقة الرمادية في حياتي، فبالتالي لا أرهق نفسي في علاقات كهذه".

سما مكملة: "وقد تكون هذه المنطقة الرمادية هي مزيج بين لونين، فتستمتع باستكشافها! لم لا؟"

طارق ناظرًا في عيون سما: "ولم لا؟"

سما نظرت في اتجاه آخر من فرط الإحراج ثم سريعًا أشارت لطارق بأنها ستذهب لتشم هذه الوردة، فانطلقت سريعًا...

بينما سما تمسك الوردة وتشمها، لاحظ طارق يد سما بها (الدبلة)!

❊ ❊ ❊

" Happy birthday to you , Happy birthday to you Ahmed"

"Thank you Mark , Thank you Mary"

"أنا سعيد جدًا لأنكم أوقعتم بي في هذا الفخ هههه".

"ههه.. نعم كان يجب عليّ أن أقلقك حتى تأتي إلينا مسرعًا يا أحمد". "كم هي مفاجأة رائعة بالنسبة لي، شكرًا لكم جزيلاً".

"يا أحمد، لقد أصبحنا أسرة واحدة".
"كيف حال أسرتك بالمناسبة يا أحمد؟".
"الحمد لله يا مارك بخير".
ماري: "لماذا لم تأتِ زوجتك معك يا أحمد؟ كنت أودّ التعامل معها، أكيد فهي جميلة الطباع مثلك"
"شكرًا يا ماري، هناك خلافات بسيطة بيننا، وسوف تُحل قريبًا"
مارك مستغربًا: "خلافات؟ لماذا؟"
ابتسم أحمد، ثم قال: "هل لي أن أقول شيئًا معكما؟"
ماري ومارك في نفس الوقت: "طبعا تفضّل يا أحمد"
أحمد وهو مبتسم: "لقد شعرت بمعنى الدفء".
وقام ينظر من خلال الشرفة على الثلوج المنتشرة على المباني.. مستطردًا "رغم صقيع الجو هنا في كاليفورنيا ولكني أشعر بالدفء هنا في قلبي، أشعر بالدفء هنا بينكما" ثم عاود النظر إليهما: "دفء الأحاسيس الصادقة، إحساس لم يزرني منذ سنوات، ولكن زارني في مكان لم أكن أتوقعه"... "كنت أتمنى أن أشعر به في بيتي مع.... مع زوجتي"
شعرت ماري بأن قد بدا على صوت أحمد الحزن، فربتت على كتف مارك..
فانتبه مارك ثم قال لأحمد: "بالطبع هناك بينكما ذكريات جميلة، فما رأيك بأن تتصل بها اليوم وتعيدا هذه الذكريات؟"

"ليس الآن يا مارك، أنا لست مستعدًا، أنا لم أفهم نفسي بالكامل حتى أجرؤ على التعامل معها، فهي عزيزة جدًا عليّ ولا أريد أن أكسرها مرة أخرى"

"سأنتظر.. مهما غلبني القلق عليها، ولكن حتى أعلم اتجاهي ومرساي، حتى أكون شخصًا يستحق قراءتها مرة أخرى".

ثم ابتسم أحمد وقال: "طابت ليلتكما، شكرًا جزيلاً على هذا اليوم الرائع".

ماري ردت قائلة: "شكرًا لك يا أحمد لانضمامك لنا عضوًا جديدًا في أسرتنا".

❊ ❊ ❊

دخل أحمد شقته المجاورة، وشعر بأن داخله الكثير ليقوله لنفسه...

"أحمد أنت رجل لن تخذلني أبدًا، أعتمد عليك وحدك بعد الله في هذه البلد الغريب، اسمع سوف ترجع إلى مصر شخصًا مختلفًا غير الذي سافرت عليه...

أحمد لن يكسرك شيء قد يحيرك ولكن عليك أن تستقر، خذ وقتك ولكن لا تُهمِل، أعط نفسك فرصة ولكن لا تتهاون.."

وبعدها أغلق التسجيل..

❊ ❊ ❊

"أتمنى أن تكوني قد قضيتِ وقتًا جميلاً اليوم يا سما؟"

سما مبتسمة: "الحمد لله يا طارق، كان يومًا جميلاً"

بينما يقود طارق نظر لها نظرة خاطفة: "لقد شعرت بنوع من الحرية اليوم، لقد تحدثت معكِ بحرية، وأنتِ؟"

سما وهي تنظر من نافذة السيارة: "لم يختلف شعوري كثيرًا"

"ولماذا؟"

سما وهي مبتسمة: "لأني... لأني... أشعر بنفس الإحساس في كل مرة أقابلك فيها"

طارق مداعبًا: "تقصدين أنه لا يفرق وجودي معكِ؟"

سما وهي تبتسم بسمة خفية وتنظر للأسفل قليلاً ولم تجاوب على سؤاله...

ثم لاحقها بسؤال آخر: "أنسيتِ شرطًا من شروط الاتفاق يا سما؟"

سما وهي تنظر له متفاجئة: "ما هو؟"

شاور لها طارق بعينيه على الدبلة!...

نظرت سما ليدها في الحال وابتسمت قائلة: "آه، أنا لن أنساها"

ثم أكملت: "أكيد تتساءل ولماذا أنا ألبسها الآن؟"

طارق: "أها؟"

سما بصوت خفيض: "طارق لقد سألتك من قبل سؤالا أتتذكره؟"

"ما السؤال؟"

"لماذا اخترتني أنا تحديدًا؟"

وصل طارق وسما إلى بيت سما، وركن طارق السيارة...

ثم التفت إليها قائلاً: "لماذا تغيرين الموضوع يا سما؟"

سما مبتسمة:"بل هذا لُب الموضوع، إذا أجبت عليّ سأجاوب على سؤالك..."

طارق وهو يهم بالنظر أمامه ويفكر: "أولاً ستكونين أمًا عظيمة لأولادي، ثانيًا يعجبني فكرك وثقافتك ستزرعين بذورها في الأولاد في النهاية بكل تأكيد بالإضافة إلى أنك جميلة وذكية ومن عائلة محترمة".

ثم نظرت له نظرة مباشرة: "وماذا أمثل لك أنت؟!"

فتفادى طارق عينيها هذه المرة: "هذه هي المنطقة الرمادية التي قلتِ لي عنها مسبقًا يا سما وعليّ اكتشافها"

سما وهي تحاول الابتسام: "سأصبر يا طارق، ووقت إتمام اكتشافك سأخبرك بكل شيء".

وفي نفس الوقت رنّ هاتف سما....

"ألو لورين، كيف حالك؟"

"أريد أن أخبرك بأن عيد ميلاد حازم اليوم وأريدك أن تأتي وتحتفلي معنا، فما رأيك؟"

"حازم مَن؟"

"خطيبي يا سما!!"

ضحكت سما عاليًا: "حاضر يا لورين"
ونظرت إلى طارق وأكملت: "سأحضر ومعي مفاجأة يا لورين"
"تمام أنتظرك يا سما"
فالتفتت سما إلى طارق: "طارق ما رأيك في الذهاب معي لعيد الميلاد؟"
طارق مترددًا: "سأوصلك"
ثم ردت بدلال طفل ذي ثماني سنوات: "بل ستأتي معي"
دخل طارق وسما في أحد المقاهي الشهيرة بالقاهرة، وبدأت سما بتقديم طارق لكل من لورين وحازم ونادر...
"أهلاً بك دكتور طارق، شكرًا لمجيئك عيد الميلاد"
"أهلاً بك يا نادر، العفو"
"أين تعمل يا طارق؟"
"أعمل بالإسكندرية، وأنت ماذا تعمل؟"
"أعمل مهندسًا ولكني لم أحدد مجالي الذي أفضله بعد"
"كيف؟! وأنت مهندس فكيف لك ألّا تحدد بعد؟"
"سأخبرك يا سيدي، أنا دخلت كلية الهندسة في البداية كأي شاب حصل على مجموع كبير وأهله تمنوا أن يروه مهندسًا يومًا ما، ولكن ومنذ أن تخرجت في الكلية وأنا أبحث عن ذاتي، أريد أفعل شيئاً مختلفًا يوافق شخصيتي الحقيقية"
"وهل علمت شخصيتك الحقيقية الآن أم ليس بعد؟"

"بدت لي نوعا ما"

فضحك طارق وضحك نادر تباعًا باستغراب..

فوضّح طارق: "لم أجد شخصًا مثلك من قبل، أنت تضيع وقتك يا صديقي"

فتكلم نادر بجدية: "أنا أضيع وقتي لو لم أفعل غير ذلك! النجاح الحقيقي ليس أن تنجح في السير على طريقك المرسوم، بل تنجح في رسم طريقك بخط يدك، وإن تخالفني الرأي فهذا رأيك الشخصي".

طارق ضاحكًا: "أنا لا أعلم في علم التنمية البشرية هذا، واضح أنك تعلم عنه جيدًا"

نادر: "نعم ويجب كل منا ليفهم نفسه جيدًا وليتأكد أنه يمشي على خطواته الصحيحة" ثم أكمل.. "ألم تمر أبدًا بمشكلة تحتاج فيها أن تتأكد وتفهم أكثر عن نفسك وعن الآخرين؟"

نظر طارق إلى سما نظرة خاطفة قائلاً: "نعم أمرّ.."

لاحظ نادر بلباقة نظرة طارق لسما دون أن يشعر طارق بذلك ثم قال له: "إذًا فلتبدأ يا صديقي بـ....."

طارق ناظرًا لساعة يده: "آسف، عليّ أن أغادر الآن هناك أمور عاجلة في عملي، سعيد بمعرفتك يا بشمهندس نادر"

نادر: "تفضّل يا دكتور، وأنا أيضًا سعيد بمعرفتك" ثم ودّعه نادر بنظرات مشفقة على هذا الرجل الذي لم ينتظر حتى أن يسمع الإجابة!....

طارق: "سما سأغادر الآن، لدي حالة عاجلة ويجب عليّ أن أزورها وسأطمئن عليكِ حين وصولك، سلام"

"سلام يا طارق"

وظلت واقفة تودعه بنظراتها حتى ركب السيارة وانطلق بها...

لاحظ نادر من بعيد ذلك الحوار الهادئ الذي أظهر كثيرًا من مشاعر سما لطارق...

❊ ❊ ❊

٨

بعد مرور شهر.....

السلام عليكم يا أحمد، افتقدناك كثيرًا، أتمنى أن تكون بخير، لورين ابنة خالتك.

رسالة على هاتف أحمد بينما هو في منزله يقرأ كتاب "افهم ذاتك" الذي أخذه معه من القاهرة..

فترك الكتاب جانبًا ليرد على الرسالة

"وعليكم السلام يا لورين كيف حالك وحال نادر وجدّي؟ أتمنى أن تكونوا جميعًا بخير"

"كلنا بخير يا أحمد، لقد سمعنا أنك سافرت كاليفورنيا"

"نعم هذا صحيح"

"مها بخير يا أحمد لقد اتصلت بها"

ثم اعتدل أحمد في جلسته ثم كتب..

"مها، أخبريني عنها كل شيء"

"قالت إن هناك خلافًا بسيطًا بينكما وهي تجلس عند والدتها، وهي تكمل الدراسات العليا الآن"

"وماذا أيضا؟"

"بدأت في أول مشروع لها في التصميم والأزياء وتعمل كعارضة لأزيائها"

"مها تفعل كل هذا؟!"

"نعم مها، لقد أصبحت شخصًا آخر، ماذا حدث يا أحمد؟".

"وهذه صورة وهي تعرض أحد أزيائها".

أحمد قائلاً في نفسه وهو ينظر للصورة "واضح أني جرحتك كثيرًا يا مها"...

"تمام يا لورين، ومبارك لكِ على خطبتك".

"شكرًا لك يا أحمد".

"إجازتي السنوية قريبة سأزوركم حال وصولي بإذن الله"

"تصل بالسلامة يا ابن خالتي".

❊ ❊ ❊

"لورين ماذا تفعلين؟"

"أطمئن على أحمد يا نادر وحازم سيكلمني بعد عشر دقائق"

"قل لي بالمناسبة ماذا كنت تتحدث مع طارق في يوم عيد ميلاد حازم؟"

"عن أمور لن تفهميها".

"نادر، كنت تتحدث مع خطيب صديقتي ويجب أن أعلم كل شيء".

"بما أنها صديقتك ألم تحكِ لك أي شيء عنه؟".

"نعم فهي تحبه".

"وهل هو يحبها؟"

" أكيد ما داما مخطوبين يا نادر!!".
"أتمنى ذلك".
"ماذا تقصد يا نادر؟".
"أتمنى أن يحبها مثل حبها له".
"أتشك في هذا؟".
"لا أشك بل أنا متأكد".
"متأكد من ماذا؟"
"من حيرته تجاهها".
"كفاك هراء يا نادر".
"ستخبرك الأيام ما أريد قوله".

❊ ❊ ❊

" انتهت محاضرة اليوم وإن شاء الله سنكمل معًا المرة القادمة، ونفتح بابًا للأسئلة"
جملة أنهت بها سما إحدى محاضرات الدورات التدريبية التي تقدمها عن الفن المعماري..
رفعت إحدى الطالبات يدها للسؤال: "أستاذة سما، لدي سؤال ولكنه ليس له علاقة بموضوع محاضرة اليوم"
"تفضلي يا سناء"
"أريد أن أسألك كيف لي أن أكون مثلك؟"

"مثلي كيف؟!".
"أن أكون مبدعة وأنمي شغفي في هذا المجال؟".
"أن تطلعي على كل ما هو جديد يا سناء، ودائمًا اجعلي عينيك تريان كل ما هو جميل، المعمار هو الجمال في حد ذاته".
"أنتِ على حق، ولكن زوجي دائمًا ما يستهين بما أصبو إليه، ويرى أن مستقبلي في بيتي وتربية أبنائي، وهذا دائمًا ما يجعلني في حيرة من أمري، هل عليّ أن أكون زوجة ناجحة، أم إنسانة ناجحة؟ كيف عليّ أن أقنعه أن ما أفعله هو يشعرني بسعادة حقيقية، كيف عليّ أن أقنعه أنه سوف يجدني في أجمل حالاتي عندما أجد حياتي، أنا أحبه جدًا حقًا ولا أريده أن يغضب ولكن أريد أن أتنفس من خلال الشيء الذي أحبه أنا، لا الذي يحبه هو؟!... أنتِ معي يا أستاذة سما..؟"
سما بابتسامة خفيفة: "عفوًا.. لقد سرحت بعض الشيء" وأكملت "إجابتي لك أن تقنعيه، ناقشيه، حاولي معه بلطف..."
وردت سناء بحزن: "حاولت ولكن دون جدوى من النقاش..."
وكأن سؤال سناء كان يخاطب قلب سما لا عقلها، مشاعر خوف وقلق وحيرة انتابت سما عند سماعها لسؤال سناء...
انتهت المحاضرة وغادر جميع الطلاب وبقيت سما في مكانها وحدها، يأخذ تفكيرها قلبها في أماكن كثيرة لم يزرها مسبقًا...
فأتى الساعي إلى سما: "سأغادر يا أستاذة سما، أتريدين شيئًا؟"

فتنبهت سما أن عليها المغادرة هي أيضًا: "لا أبدًا، شكرًا جزيلاً، تفضّل أنت"

حملت حقيبة أحلامها وطموحاتها على كتفها ولكنها كانت ثقيلة نوعًا ما في هذه المرة، شعرت بثقل خطواتها خائفة أن تقدم للأمام لأنها بهذه الخطوات ربما تخسر حب حياتها أو تخسر حياتها التي طالما عاشت تحلم بها، خائفة من أن تواجه هذه المقارنة يومًا ما، أن تضحي بشيء في سبيل الآخر، فطائر الحب قد يصبح معاديًا لطائر الأحلام....

❊ ❊ ❊

"سأفتقدكم هذا الشهر يا مارك".

"تعود لنا بخير يا أحمد، ومعك زوجتك مها".

ماري وهي تحمل رضيعها: "سلام يا أحمد".

"شكرًا لكما جزيلاً، سأتصل بكما حين وصولي القاهرة".

تنبهوا لنداء الطائرة، فعليه أن يتركهما ليذهب لطائرته المتوجه لواقعه في مصر، وبينما هو متوجه إلى الطائرة شيء من المسئولية دبّ في قلب أحمد، يصاحبه شيء من الخوف والترقب...

بكاء طفل مارك الرضيع خلفه، جعله ينظر مرة أخرى ليشاور لهم بتوديعهم...

❊ ❊ ❊

بينما سما في طريقها لمنزل لورين، اقتربت منها سيارة فجأة وكادت تصدمها..

نزل السائق سريعًا من السيارة ليطمئن عليها ويعتذر لها..

"أنا آسف سيدتي".... "هاه؟ سما!"

وعندما أدركت سما ما قد حدث بكت بشدة حتى هدأت وأدركت أن السائق هو (نادر)!

"أنا حقا آسف، لأني لم أنتبه، أعتذر لكِ بشدة"

"لا أبدًا يا أستاذ نادر، أنا المخطئة لأني لم أنتبه جيدًا"

"أتريدين أن أوصلك لأي مكان؟".

"لا أبدًا فأنا كنت ذاهبة للورين".

نادر محاولاً إضحاكها: "لورين! أرجوكِ لا تقولي لها ما قد حدث سوف تنتقم مني".

سما محاولة الابتسام: "لن أخبرها عن شيء لا تقلق".

❊ ❊ ❊

رنّ جرس الباب..

لورين من الداخل بصوت عالٍ: "إني قادمة يا سما، ثواني"

فتحت لورين الباب فوجدت نادر وسما فقالت باستغراب:

"كيف؟!"

نادر ضاحكًا: "أيمكننا الدخول أولاً؟"

جلس نادر ولورين وسما في غرفة الجلوس...

فانتهى نادر بـ: "فقط هذا كل ما حدث يا لورين.."

"كيف تفعل هذا بصديقتي يا نادر؟ قلت لك ألّا تقود بهذه الاندفاعية من قبل".

"لا تلوميه يا لورين، فأنا كنت غير منتبهة للطريق".

"ما بك يا سما؟ لماذا عيناك حزينتان؟".

فرد نادر في الحال: "لأنها بكت بشدة عقب الحادثة".

"ولكن هناك شيئًا ما غير هذه الواقعة، تكلمي يا سما"

"أنا بخير والله يا لورين، هناك موضوع يحيرني بعض الشيء وهذا ما جعلني لم أنتبه للطريق".

"إذًا فما هو؟"

فقام في الحال نادر: "إذًا سأترككما على راحتكما".

وبينما يتوجه نادر لغرفته سمع بدون قصد (طارق يا لورين.....)، فابتسم ابتسامة خفيفة تؤكد توقعه وأكمل خطواته لغرفة نومه..

"ماذا حدث لطارق يا سما؟" ردت عليها لورين برفق

"لا لم يحدث له بل يحدث لي أنا" ثم أكملت "في الحقيقة، أنا في حيرة من أمري لا أعلم ماذا يريد طارق، أنا صابرة حتى نفهم بعضنا أكثر، بمعنى أصح أن يفهمني هو أكثر، ولكن أشعر بكثير من عدم الأمان الذي تحب أن تشعر به أي امرأة لرجل اختارته بعقلها وقلبها"

"أتظاهر بالقوة والصبر أمامه ولكن بداخلي قلب يتمرد على كل ما يحدث، لن أفهم ولكن بداخلي يفهم ولكني أضحك على نفسي... أتفهمين شيئًا؟"

لورين بدهشة: "هاه؟".. "يعني ماذا تقصدين يا سما؟"

سما: "سأبسط لك الأمر".. "في الحقيقة طارق لا يزال لم يستوعبني!"

لورين محاولة لفك الشفرات: "أتقصدين أنه لا يحبك؟"

سما: "نحن نقول عليه أنه (عدم حب) ولكنه في الحقيقة عدم استيعاب"... "لأني واثقة أنه إذا استوعبني حقًا، سيحبني".

لورين متأثرة بكلام صديقتها: "ولماذا لا تيسري له استيعابك وماذا تكونين؟"

سما بابتسامة خفيفة: "حدث بالفعل يا لورين، ولكن هناك حلقة مفقودة"..... ثم أكملت.. "أتعلمين يا لورين قد تشعرين بالغربة عندما توضحين شيئًا في شخصيتك بديهيًا جدًا لشخص تعرفينه منذ فترة طويلة".

ثم سكتت سما قليلاً ثم قالت: "إحساس الاستيعاب يا لورين"

لورين: "الآن قد فهمت.. اصبري يا سما وكل شيء سيتضح فيما بعد، عليكِ أن تكوني واضحة وكفي من ألغازك لأجلي".

سما وهي ترجع ضهرها للخلف وتبتسم: "كم أشعر بالراحة نوعا بعد كلامي معك، ولن أكف عن ألغازي يا لورين، من يحبني هو من يفهمني".

لورين: "كيف هذا وأنا أحبك ولا أفهمك يا سما؟!".

سما بابتسامة أعلى: "إذًا أنتِ تحبينني بقلبك لا بعقلك يا لورين".

لورين بصوت عالٍ وهي تمسك رأسها: "سما كفى.. كفي".

وفي نفس الوقت خرج نادر وهو يتكلم في الهاتف: "حمدًا لله على السلامة يا أحمد نعم يا أحمد كلنا بخير، لورين معك الآن".

فأخذت لورين الهاتف من نادر: "ألو، أحمد بن خالتي، حمدًا لله على سلامتك، يجب أن تزورنا في يوم من الأيام يا أحمد"

أحمد: "الله يسلمك يا لورين، إن شاء الله يا لورين سأزوركم بعد غد".

لورين وصوت فرحة يملأ صوتها: "إن شاء الله ستأتي ومعك مها".

أحمد يرد بصوت أهدأ قليلا: "آه، نعم.. بإذن الله يا لورين".

لورين: "إن شاء الله تكون الأمور على ما يرام يا أحمد"

"كنت أكلم أحمد ابن خالتي يا سما، مثل نادر في قربه مني، عنده بعض المشاكل مع زوجته مها وسافر كاليفورنيا ورجع مصر أمس".

ابتسمت سما ابتسامة خفيفة قائلة: "الله يكون في عونهما".

❊ ❊ ❊

أمسك أحمد بالهاتف مترددًا ورقم مها يلمع أمام عينيه، ويتحرك في الشقة ذهابًا وإيابًا..

ثم قرر الضغط على زر الاتصال....

"ألو.. من معي؟"

أحمد يعود وينظر في الهاتف ليتأكد أنه رقم مها:

"أنا.. أنا أحمد يا مها".

"أحمد!.. أعتذر لك يا أحمد مُسحت جميع الأرقام من الهاتف".

ودام الصمت لثواني...

"ماذا تريد يا أحمد؟"

"لا أريد.. فقط.. كيف حالك يا مها؟".

"أنا بخير يا أحمد" ثم رجع الصمت مرة أخرى.

"أنا فقط أردت أن أطمئن عليكِ.... إذًا ألا تريدين مني شيئًا؟".

"نعم أريد يا أحمد..".

فرد بلهفة: "ماذا تريدين يا مها؟".

"أريد أن أقابلك في نفس المكان في المطعم الصيني"... "أريد أن أتحدث معك قليلاً".

"نعم بالطبع وأنا أيضًا أريد أن أتحدث معكِ كثيرًا".

"إذًا معادنا غدًا السابعة مساءً".

❊ ❊ ❊

بينما سما في منزلها تسمع موسيقاها المفضلة وتشرب مشروبًا ساخنًا وتطل من النافذة فقطع هذا المشهد رنة هاتفها...

"ألو، نعم يا طارق".

"كيف حالك يا سما؟"

"أنا بخير.. لا أنا لست بخير"

"لماذا؟!".

"لأني.. لأني لن أفهم موقفك من خطبتنا".

"كيف يا سما وأنا مستمر معك، وقد اتفقنا أننا سنفهم بعضنا أكثر".

سما: "نعم.. لا.."

قاطعها طارق: "ما بك يا سما؟!".

سما: "نعم اتفقنا، ولكن الاتفاق كان أن تعرف أنت موقفك أكثر.."

طارق: "أحتاج أن أتحدث معك بصراحة أكثر يا سما وأن أستفسر منك عن أشياء ولا أريدك أن لا تسيئي فهمي".

سما: "أتمنى ذلك".

طارق: "في بادئ الأمر انجذبت لعقليتك وذكائك وتميزك الواضح في كلامك معي في المرة الأولى وحتى الآن يا سما أنا معجب بتفكيرك جدًا، ولكن مع ذلك مازلت أبحث عن أنوثتك، مازلت أبحث عن قالب أضع شخصيتك فيه".

ثم أكمل: "شخصية مثلك تعيش وحدها، تدرس وتدرب وتقرأ وتحضر محاضرات، حياتك تقول الرجل في حياتي ليس له مكان، كيف ستركزين في عملك ودراستك ومع الأولاد ودراستهم؟.. كيف سأذهب آمنًا إلى عملي وأنتِ منتشرة بهذه الطريقة؟!...."

سما: "أنهيت؟"

طارق: "نعم يا سما.. أنهيت".

سما وبدأت في شرح نفسها وظروفها: "أنت تعلم يا طارق أني أعيش بمفردي وذلك بسبب ظروف عملي التي جعلتني أستقل بشقة أمام شقة أختي، حتى أكون على راحتي ولا أسبب لهم إزعاجًا، وبالنسبة للدراسة والقراءة والتدريب فهذه حياة تسعدني حقًا، وخوفك على أولادك، فهم سيكونون أولادي وسوف أخاف عليهم مثلك بالتأكيد".

أكملت سما وصوتها يكاد يذرف الدمع..

"أنت لم تفهمني بما يكفي يا طارق، تريد الحياة كما تريدها أنت ليس كما نريدها نحن، طوال الوقت كنت تسأل وأجيب أنا، كنت تبحث عن سُبل راحتك فيّ، ولم تسألني ولو لمرة أأنا مرتاحة معك أم لا؟! لم تسألني ولو لمرة أأنا سعيدة معك أم لا؟! رجولتك لم تستوعب أنوثتي كاملة، لقد نجحت في فهم نفسك وعرفت كيف تدير حياتك الخاصة وتنجح فيها ولكنك نسيت أن تعلم كيف تفهم الآخرين وخاصة تفهم علم النساء...."

"أشعر فيك الآن بغربة شديدة يا طارق.."

❊ ❊ ❊

في الساعة السابعة والنصف في المطعم الصيني، المطعم هادئ تمامًا من الزبائن على غير عادته، وعلى طاولة بجانب نافذة زجاجية تطل على الشارع يجلس أحمد ومها...

"كيف حالك يا مها؟"

"بخير يا أحمد، وأنت؟".

"بخير أيضًا".. في تلك اللحظة أشار أحمد للجرسون.

"ماذا تأكلين يا مها؟".

"لا سأشرب قهوة فقط".

فنظر إليها أحمد متعجبًا: "كنتِ تكرهين القهوة يا مها؟!".

فابتسمت مها: "والآن أحبها..".

أحمد للجرسون: "كوبين من القهوة لو سمحت".

"لقد تغيرت كثيرًا يا مها في شكلك ومزاجك" ثم أكمل.." آه... سمعت أنك بدأت في مشروع تصميم الأزياء.. مبروك"

ثم ردت بابتسامة: "الله يبارك فيك يا أحمد، وأنت لم تتغير كثيرًا كما توقعت" ثم أكملت.. "أحمد أود ألا أطيل عليك كثيرًا، بالتأكيد أنت تتساءل ماذا أريد؟".

وأحمد ينظر بترقب في منتهى الهدوء..

وبدأت مها تحتسي القهوة ثم نظرت من خلال النافذة الزجاجية إلى السماء.. أريد حريتي منك يا أحمد.

فجاوب أحمد متفاجئًا بما يسمع: "ماذا تعنين يا مها؟!!".

ثم عاوت النظر إليه: "أعني ما سمعت يا أحمد"..

وأكملت بمذاق القهوة المر: "كنت طيلة حياتي معك أتكيف مع تقلباتك ومع حياتك واحتياجاتك، أنجح تارة وأفشل الأخرى، ولكني كنت أحاول، وصلت لمرحلة أني ذبت في كيانك حتى اختفى كياني فيك، اختفت ملامحي، بدأت أحب ما تحب وأكره ما تكره، ولكن جانب شخصيتي العنيد كنت أمارسه عليك، حتى ضاق عليك وعليّ هذا القالب".

ثم أكملت وهي تنظر للسماء مرة أخرى: "ولكن عندما افترقنا لشهور، انفردت بنفسي وتحدثت إليها، وجدت قلبي يتمرد عليّ ولا يريد أن يرجع لهذا القالب اللعين، الذي شكلني بما لا أهوى، ولكنه تنفس بعيدًا عن هواك، بعيدًا عن سجنك وخيالك، برغم حبي لك ولكن حبي لك سجنني".

ثم نظرت له مرة أخرى: "إذا كنت لا تعلم حتى الآن موقفك مني، أنا أعلنها الآن، أريد الانفصال يا أحمد فهو أفضل لك وأفضل لي، قد تكون شعرت بمشاعر شفقة ولكن لا مكان لها، فأنا لست مها التي تركتها منذ شهور ومها الجديدة لا تحتاج لأحمد في حياتها".

"لقد وجدت نفسي يا أحمد وأتمنى أن تكون وجدت نفسك أنت أيضًا".

قالتها وهي تهم بالوقوف للانصراف..

همّ أحمد بالوقوف هو أيضًا لتوصيلها..

"شكرًا يا أحمد معي سيارتي، أراك على خير".

جلس أحمد مرة أخرى وكأن أفكاره الثقيلة مَن أجبرته الجلوس، سرح في كلام مها المفاجئ له وتعاودت جميع ذكرياته معها، حدث ما لم يكن يتوقعه، عليه الآن أن يغير دفة مركبه لواقع آخر..

شعر أحمد بالضياع الذي شعر به قبل رحيله لكاليفورنيا، وكأن سفره لكاليفورنيا ووعوده لنفسه بالتغير كانت حلمًا استيقظ منه على نفس الطاولة في نفس المطعم بنفس المشهد ولكن مع شخصية مها المختلفة..

غرق أحمد في أفكاره المتلاحقة حتى خطفه النوم على الطاولة..

"يا فندم؟"

"آه... نعم..... آسف لقد نمت من التعب".

"لا عليك سيدي، يمكننا خدمتك بشيء آخر؟"

"لا، أريد فقط الفاتورة".

"لقد تم دفعها يا فندم"...

❊ ❊ ❊

"سما، أنا لا أفهم ما تقولين، تعالي غدًا سأنتظرك في منزلي".
"حاضر يا لورين سأحاول".
أنهت سما مع لورين المكالمة في محاولتها لشرح أسباب انفصالها من طارق، فتركت سما الهاتف جانبًا..
ووجدت سما قلمًا وورقة بجانبها ملجأ لها في محاولة للتعبير عن ما يدور داخلها...
{..... كنت تسألني يا طارق عن سبب وجود الدبلة في يدي يومًا، أتعلم أن السبب كان شعورًا وُلِد داخلي عند ارتدائي لها، شعور بالاحترام والمسئولية والاستيعاب والحب... نعم الحب.. ولكن كان وليدًا غير كامل، فالحب كالجنين في الرحم، إذا وُلد الجنين قبل أوانه تشوه، لذلك لم يكن أوانه أن أقول إني أحببتك، لأنها لم تكن واضحة بالنسبة لي بسبب ترددك وتحيرك في اختياري، حبي لك كان حبًا غير مكتمل الأركان، فقد قتلت هذا الشعور قبل أن يولد، ولكن على أية حال هذا أفضل من قتله بعد ولادته...}
قالت سما بصوت خفيض: "ياربي أشعر بشيء من الوجع..... هنا... هنا في قلبي" .

❊ ❊ ❊

٩

في اليوم التالي ....

"أهلا أهلا أحمد، تفضّل، جئت في موعدك".

"أهلاً بك يا نادر".

شعر نادر بالحزن المرسوم على وجه أحمد.. ثم سأله: "أتحب أن تشرب شيئًا؟".

"نعم كوبًا من الماء من فضلك".

خرجت لورين من الغرفة: "أهلاً أحمد أين مها؟".

فصمت أحمد فقاطع صمته نادر: "تفضل كوبًا من الماء البارد يا أحمد".

نادر مشاورًا للورين على ألّا تسأل عن مها مرة أخرى..

فغيرت لورين مجرى الكلام: "الغداء على النار يا ابن خالتي".

فرنّ جرس الباب...

فأسرعت لورين على الباب قائلة: "بالتأكيد إنها سما".

"أهلاً أهلاً سما، لقد أتيتِ في وقتك تفضلي".

دخلت سما تسأل بهدوء: "لمَ لم تقولي إن عندكم ضيوفًا يا لورين؟"

فردت لورين بصوت عالٍ: "تفضلي يا سما هذا أحمد ابن خالتي ليس بغريب".

فنظر أحمد خلفه على صوت لورين العالي، وعندما أدرك أنها سما وقف من مجلسه مشاورًا لها متفاجئًا: "أستاذة سما!!"

فردت سما بنفس نبرة الاستغراب: "أستاذ أحمد!!".

فبادر نادر: "أتعرفان بعضكما؟!"

فجاوب أحمد وسما في نفس التوقيت: "نعم.. هه"

فقالت لورين لسما بضحكة عالية: "آه، صحيح لقد نسيت تمامًا أن أخبرك أني رشحت شركتك لأحمد ليصمم ديكورات فيلته الخاصة به يومًا ما".

نادر: "إذًا فلتتفضلوا للغداء يا قوم"...

(على طاولة الطعام)..

أحمد محاولاً فتح الموضوع الخاص به: "لقد سألتِني يا لورين عن مها".

لورين: "نعم يا أحمد".

أحمد وهو يحرك الملعقة في طبقه بحركات دائرية: "لقد انفصلنا البارحة" مكملاً كأنه يوجه الكلام لسما: "لقد سافرت كاليفورنيا وبدأت أسجّل كل ما أحتاجه في ملف على هاتفي وأقرأ عن فهم الذات، ولكن عندما رجعت وفكرت في الرجوع لمها إذا شعرت فيها شيئًا من الحنين، وجدت أنها اختلفت كثيرًا"... فأكمل مبتسمًا: "فقد أخبرتني أنها لا تحتاجني هي الآن، فقد أكون عقبة في حياتها" وابتسم ورجع يكمل الأكل..

فنظر نادر للورين، نظرة شفقة عن أحمد...
وسما تنظر لأحمد مباشرة وهو يتكلم...
أحمد مكملاً: "لقد أحسست بالضياع مرة أخرى وكأني لا أبذل شيئًا".
فبادرت سما بالكلام: "أستاذ أحمد أحب أن أقول، أنت شخص كنت مُكبل بالماضي، وعندما سافرت إلى كاليفورنيا لم تتحرر منه تمامًا، لذلك قيَّد حركتك وجعلك تتقدم بخطوات بطيئة للغاية لأن خطواتك لم تكن واثقة بالقدر الكافي، فقد تركت جزءًا من قلبك هنا بالشفقة على مها وأخذت الباقي منك لعملك وللتعامل مع الناس" وأكملت وهي تكمل تناول طعامها: "ارجع يا أحمد بخيالك وتناسَ الماضي قليلاً وجرّب حياتك الحقيقة ما بين التقلبات والثبات، وفي كل مشهد في الحياة سترى نفسك الجديدة التي تختلف تمامًا عن ماضيك، ستتفاجأ بأن ماضيك لم يكن إلا حجر زاوية في حياتك لا يُهمَل ولكن لا تقف عنده".

فأكمل نادر: "أحمد كلمة السر في الجرأة، الجرأة أن تترك، الجرأة في أن تتمسك، الجرأة في أن تخطو رغم أحزانك وحيرتك، الجرأة في التعبير عن نفسك... وإن كانت أصعبها هي الأخيرة..".
ثم أكمل: "أمامك ها أنا، أحاول جاهدًا في المقاومة من القوالب الاجتماعية...".

ثم قاطعت الحوار لورين: "أعاقل مَن يترك كلية الهندسة وكثيرون شوقًا للدخول بها؟!"

نادر ضاحكًا: "أسمعتم؟ هذا دليل على القوالب الاجتماعية المُعوِقة".

ثم رجع نادر قائلاً لأحمد: "ولكن لا تبالِ، مدام تشعر بأن رغباتك الداخلية متناسقة مع ما تفعله خارجك، فاستمر في البحث وستصل، مؤكد ستصل، فيمكنك أن تفعل في سنة ما لم تفعله طيلة عمرك، لا تيأس يا صديقي".

وانتهت سما لحديثهما وكأن كلام نادر يقع مواقع ملأت فراغات كادت أن تتسع عندها هي....

لورين: "أكملي يا سما طعامك، فأنتِ لم تأكلي جيدًا".

سما تمسح فمها وهي تبتسم: "الحمد لله".

(بعد الغداء وفي غرفة الجلوس)

لورين: "تفضلوا الشاي".

أحمد ويتحدث بود إلى سما: "أنتِ تظهرين لي يا أستاذة سما في أوقات عجيبة، حقا قدرعجيب!".

سما مبتسمة: "كلامي رزقك يا أستاذ أحمد".

أحمد نظر لها بعينين لامعتين: "نعم... رزقي".

ثم التفت للجميع وأحمد يهم بالوقوف للرحيل قائلاً: "سأقطع إجازتي وسأرجع لكاليفورنيا قريبًا، أتمنى أن أراكم جميعًا قبل سفري، أراكم على خير".
نادر: "إن شاء الله يا أحمد، مع السلامة".

❊ ❊ ❊

وبعد مرور ثلاثة أيام في مطار القاهرة...
"سأفتقدك يا نادر شكرًا على توصيلك لي، أتمنى أن أسمع خبر زواجك...".
نادر: "لا شكر على واجب يا ابن خالتي، وبالنسبة للزواج...." قاطعت الكلام لورين: "لا تحاول يا أحمد معه، فهو مضرب عن الزواج".
أحمد: "هههه... إذًا أتمنى أن أسمع خبر زواجك أنتِ يا لورين".
لورين بابتسامة خجل: "نعم قريبًا جدًا".
"أعلم أنك لم تسلمي على رجال باليد يا سما، أنا ممتن جدًا لتلبية طلبي ولحضورك معهم، شكرا لكِ، أتمنى أن أراكِ على خير".
ردت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة: "العفو، أتمنى لك أيضًا رحلة طيبة وأن نسمع عنك كل خير".
أحمد لسما: "أول مرة أشعر أني مسافر حيث الغربة، ولكن سعيد أنك آخر مَن قابلته قبل سفري....".

ثم التفت أحمد إلى الكل قائلاً: "سأفتقدكم يا رفاق".
الجميع مشاورًا له: "سلام يا أحمد...".
وفي طريقهم للرجوع..... .
لورين: "سما ماذا كان يقول لكِ أحمد؟"
سما بعفوية: "كان يقول إنه سعيد لأني آخر ما قابل قبل سفره.."
لورين: "آها...."
سما: "ماذا بك يا لورين؟"
لورين: "أأنتِ متأكدة أنك أنهيتِ علاقتك بطارق؟"
سما: "نعم.. ولكن لماذا؟"
لورين: "إذًا استقبلي البشائر...."
"ههه ماذا بك يا لورين، أول مرة لم أفهم كلامك؟!"
وصلوا للسيارة ونادر يفتح للورين باب السيارة الأمامي، واتجه لفتح باب السيارة الخلفي لسما...
وسما مصممة أن تفهم ماذا تقصد لورين: "ماذا تقصدين باستقبلي البشائر يا لورين؟"
"أأنتِ مصممة يا سما؟"
"أي نعم.."
فنظرت لورين لنادر ثم نظرت لها في الخلف: "أقصد أنه معجب بكِ يا سما.."
سما متفاجئة: "هاه لا.. لا.. يا لورين، خيالك خانك في هذا".

فاهتزت السيارة بقوة بسبب مطب على الطريق....
لورين معنفة لأخيها: "انتبه يا نادر للطريق".
توقفت السيارة عند منزل سما فودعاها لورين ونادر.
فالتفتت لورين لنادر: "ماذا بك يا نادر لم تنطق بكلمة واحدة؟".
نادر ناظرًا أمامه على الطريق متجهًا إلى منزلهم: "لأني جائع، ماذا تطبخين لنا اليوم؟".
لورين في استياء: "أهذا ما يشغلك يا أخي؟!..".
فشد انتباه لورين ورقة في السيارة: "ما هذه؟ ما بها؟"
نادر محاولاً أن يمسك بها: "أعطني هذه الورقة يا لورين".
لورين: "انتظر... ما هذا... مكتوب عليها... (خواطر عاشق)" .
في هذه اللحظة نجح نادر أن يلحق بالورقة الخاصة به...
لورين: "خواطر عاشق يا نادر؟! أنت عاشق! وبما أنك عاشق لماذا لا تريد الزواج يا أخي؟!!".
نادر في لحظة صدق وهو ينظر أمامه على الطريق: "لورين، العشق ليس بحب رجل لامرأة فقط، كل عاشق وله معشوق، وكل نداء وله ملبٍ، وكل جمال وله صانع وشاهد، فالحب الإلهي عشق، وحب الفنون عشق، وحب المخلوقات والطبيعة عشق، فأنت تحتاجه وهو يحتاجك على الدوام، يترك شيئًا فيك وتترك شيئًا فيه.."
"أتفهمين ما أقصد؟... لورين؟ لورين؟... أنمتِ يا حبيبتي؟..."

فأغلق النافذة الزجاجية المجاورة للورين في السيارة...
وصل نادر ولورين لمنزلهما، وأيقظ نادر لورين برفق:
"سأذهب أنا يا لورين لمكان خاص بعمل ما، دعواتك لي، لن أتأخر"
"الله معك يا أخي، سلام يا نادر ولا تتأخر على الغداء"

❊ ❊ ❊

في مكتب فخم يليق برسّام طويل الباع في فن الرسم...
"السلام عليكم يا فندم"
"أهلاً وسهلاً أستاذ نادر"
"جئت لأعرف رأيك في العرض الذي قد قدمته لك؟"
"فكرت كثيرًا يا أستاذ نادر وهي مجازفة أن أبدأ معك وأنت لازلت مبتدئًا وأنت تعلم أن اسمي كبير في هذا المجال..."
"يا أستاذي، لذلك استعنت بك، أنت بمجهودك وأنا بالمكان المجهّز" ثم أكمل "أي نعم هدفي هو تعليم أكثر عدد من الأفراد ممكنة بأقل تكلفة، وسيكون الربح قليلاً في البداية نوعًا ما، ولكن مع الوقت سيُعرف المكان ويصبح له صيت ويزيد الربح...".
"أستاذ نادر أنت تعلم أني لا أملك من الوقت وتعلم أن وقتي ثمين و....."
نادر مقاطعًا كلامه بلباقة: "كما أني أنوي في المشاركة في إنتاج الأعمال التي تستحق الدعم الهادف لتشجيعها، وسأعمل على

توعية الناس بأهمية الفنون كالرسم والموسيقى ودراسة تأثيرها على النفس البشرية وتحليل الشخصية من خلالها".

صمت الفنان المشهور لدقائق ثم أكمل: "يعجبني إصرارك على مشروعك يا نادر... لذلك... سأقف بجانبك لرفع مستوى الفن الهادف في جميع المجالات وليس الرسم فقط الذي أنا محترف فيه، فأنا أرى نفسي فيك، فقد تحقق أنت حلمًا بالنسبة لي كان مجرد نقطة في بحر صعب الوصول، إصرارك هذا يجعلني أثق بك أكثر، وباجتهادك ستُحدث تغيرًا في عالم الفن الهادف في جميع مجالاته... لذلك سأدعمك...".

نادر في سعادة بالغة: "أنا متشكر.. متشكر جدًا يا فندم"

❊ ❊ ❊

جو لطيف في كاليفورنيا، سمع مارك صوتًا صادرًا من شقة أحمد المجاورة له، فذهب ليتحقق من مصدر هذا الصوت، فرنّ جرس باب شقة أحمد...

"أحمد؟!... أهلاً برجوعك يا صديقي".

فسلّم عليه أحمد قائلاً: "آسف لإزعاجكم في هذا الوقت المتأخر، لقد قطعت إجازتي في القاهرة وجئت ولم أبلغكم".

"لا عليك يا أحمد".. "أوه، الشقة تحتاج للتنظيف، تعالَ لتناول العشاء معنا الليلة.. هيا.."

"حاضر يا صديقي"

بينما هم على طاولة الطعام، وجد أحمد بجانب الحائط كرسيًا مكسورًا بني اللون عليه نقوش ذهبية فريدة من نوعها يبدو عليه آثار الزمن، فترك أحمد الطعام وذهب للكرسي ليفحصه: "من أين هذا الكرسي الجميل يا مارك؟".

فضحك مارك: "إنه متوارث من والدة جدتي، ونحن محتفظون به لأنه تراث قديم جدًا ولكن لا أحد يستخدمه وفقدنا الأمل في إصلاحه".

أحمد: "أيمكنني أن آخذه معي اليوم وسأحاول إصلاحه؟".

مارك: "طبعًا".

أحمد: "وهو كذلك".

سهر أحمد هذه الليلة في شقته ناظرًا للكرسي يفكر في كيفية إصلاحه وبدأ يقلب فيه ويدوِّن مستلزمات الترميم، حتى أقبل عليه الصباح، فنوى أن يشتري جميع المستلزمات بعد الانتهاء من العمل اليومي،

فذهب للعمل مبكرًا، حتى لا يتأخرعن شراء المستلزمات، ليرى النتيجة النهائية!..

❊ ❊ ❊

بينما سما مشغولة في عملها، شعرت بشيء من الملل، فتوجهت نحو النافذة التي تطل على شارع رئيسي، خلعت نظارتها الطبية كي ترى الدنيا بشكل أوضح..

وقالت في نفسها وهي تنظر لنفسها في مرآة زجاج النافذة: "كم أشتاق إليك يا سما.. أشتاق إلى أن أتحدث معك.. أحتاج إلى أن أنفرد بك بعيدًا.... بعيدًا عن العمل وعن كل شيء" .

في نفس الوقت دخل عليها المدير: "سما؟؟".

تفاجأت سما وكأن أحدًا اقتحم خصوصيتها وارتدت نظارتها سريعًا: "نعم يا فندم".

المدير: "هناك مشروع في الطريق إلينا من.....

فقاطعته سما وكأنها تخطف نفسها: "سآخذ إجازة يا فندم لمدة أسبوع، أتمنى أن توافق لي عليها"

المدير: "أهناك شيء ما يا سما؟"

سما بابتسامة: "أحتاج فقط لبعض الراحة".

المدير: "إذًا فهو كذلك.."

❊ ❊ ❊

بعدما انتهى أحمد من العمل، ذهب لسوق الأخشاب وبدأ يسأل مصممي الأثاث ويشتري ما يلزم من مستلزمات ترميم الكرسي العتيق....

وبعد الانتهاء من المشتريات رجع أحمد المنزل وخلع الحذاء والجاكيت وبدأ على الفور للتحضير، لإعادته لأقرب ما كان.....
فرش أدواته أرضًا وبدأ يبحث على الإنترنت ويحاول التطبيق وبدأ في التعرق والإرهاق، ومرت الساعات دون أن يشعر، حتى انتهى من آخر مرحلة في الترميم، فشعر براحة للانتهاء أجبرته لإلقاء ظهره على الأرض، فخطفه النوم حتى صباح اليوم التالي..
استيقظ أحمد وقد شعر بتعب شديد في جسده، ولحسن الحظ كان اليوم هو يوم العطلة الرسمي من العمل..
وبرغم تعبه الجسدي بدأ يهذب الكرسي ويعطي له اللمسات النهائية، لأول مرة يشعر بإحساس انتصار حقيقي، لأول مرة يشعر أنه أعاد شيئًا للحياة، حتى وإن كان جمادًا، لا يشعر ولا يتكلم ولكنه شعر بألفة بالغة فيه، إحساس بأنه يريد أن يذهب لعصره كي يصمم الكثير، أو أن يبحث عن مزيد من المقاعد لتصميمها...
حمل أحمد الكرسي وذهب لجاره فرحًا كالمنتصر قائلاً: "مارأيك؟!!" مارك وعليه علامات الدهشة لامسًا كرسيه: "رائع! أبهذه السرعة؟" ثم أكمل: "إنه جميل، جميل للغاية يا أحمد شكرًا لك على مجهودك، واضح أنك قد أنفقت الكثير من المال عليه، أخبرني كم أنفقت عليه؟".
أحمد متعجبًا: "لم أفكر في التكاليف مطلقًا، يكفيني أن أرى هذه النتيجة وأن يعجبك لهذا لحد".

"واضح يا صديقي أنك بذلت فيه كثير من المجهود، إذًا قل لي ماذا فعلت؟".

فحكى له أحمد كل الخطوات التي اتخذها.... ثم أنهى حديثه بـ: "وها هي النتيجة".

مارك ويبدو عليه التركيز الشديد ورد بابتسامة هادئة: "إنه الشغف يا أحمد".

أحمد: "أي شغف؟!!"

مارك: "كل ما قلته يا أحمد من علامات الشغف، ستنجح يا أحمد جدًا في هذا المجال".

أحمد مستغربًا لما يسمعه: "أي مجال؟!!".

مارك موضحًا: "المجال الذي سيسرقك من نفسك ويجبرك بمنتهى الرضا على اتخاذه بعد هذا العمل".

ثم أكمل مفسرًا: "أنت تحمل الكثير من الود بين طيات نفسك لهذا الكرسي وتود الآن أن تأخذه وأن تحتفظ به أليس كذلك؟".

أحمد ضاحكًا: "وكيف عرفت؟!"

مارك محتفظًا بابتسامته: "أنصحك يا صديقي الآن ألَّا تتبع إلا..... قلبك.... أنصت له جيدًا وتقدّم".

ثم أمسك مارك الكرسي وأهداه لأحمد: "تفضّل يا أحمد هدية منا لك، أعلم أنك ستحافظ عليه، كما أنك تستحقه حقًا".

أحمد وقد بدا عليه ملامح السعادة: "حقا؟! إنه لي؟! أشكرك يا مارك على هذه الهدية الرائعة".
ورجع أحمد لشقته حاملاً الكرسي وكأنه حصل على جائزة إنجازه، وضعه في مكان مناسب في الشقة، وشعر وكأنه ونيس له في المكان بل في غربته في هذه البلد...

❊ ❊ ❊

بينما سما في المنزل تفكر أين ستقضي إجازتها، يرن هاتفها وترد سريعًا بملل...
"مرحبا، من معي؟"
"أنا حسن الطيار يا أستاذة سما؟"
"حسن مَن؟"
"حسن السائق، ألا تتذكرين؟"
فاعتدلت في جلستها: "أهلا بك ياعم حسن، كيف حالك؟"
"أنا بخير، كنت أودّ أن أدعوكِ يا أستاذة سما، لحفل زفاف ابنتي البسيط في قريتنا في المنصورة، يوم الخميس القادم"
سما بابتسامة رقيقة:
"زواج سعيد ياعم حسن"
حسن: "فقد بادرت بالاتصال بوالدك أولاً وقد وافق أيضًا، سأنتظركم جميعا بإذن الله".

"سنأتي إن شاء الله يا عم حسن"
"ألو، لورين أين أنتِ؟".
لورين: "أنا الآن متجهة بالسيارة سأقابل سما، لماذا يا نادر؟"
"إلى أين؟"
"لماذا يا نادر؟ ماذا بك؟"
"أخبريني فقط أين؟؟..."
"في مطعم إيطالي بجانب المنزل سنتناول البيتزا"
"عرفته، سلام"
"لماذا يا نادر؟؟..... نادر؟؟" ونظرت للهاتف باستغراب بعد ما سمعت إنذار انتهاء المكالمة.
ترسم في ورقة أمامها وتكتب عليها بخط منقوش (لماذا).....
اختطفت لورين الورقة من سما حين وصولها المطعم وقرأت المكتوب عليها: "ل م ا ذ ا".
أخذتها منها سما مرة أخرى قائلة: "لماذا تأخرتِ؟".
"أنتِ تعرفين المرور يا سما، عذرًا حبيبتي".
"ماذا كنتِ تريدين يا سما؟".
فأدمعت عينا سما في الحال: "أريدك بجانبي فقط، كما أنتِ الآن".
لورين وهي تمد لها بمنديل ورقي.
فكتبت سما على الورقة التي أمامها مرة أخرى: "بداخلي طائر يئن"
ثم انكسر سن القلم من شدة الضغط عليه وتعذرت الكتابة به....

لورين برفق: "ما بك يا سما، تكلمي؟!".
فقالت سما: "أشعر كأني هذا القلم الآن، لا يستطيع الكتابة، بالرغم من احتوائه على الكثير داخله ليُكتَب به"..
"أشعر بضعف يهوي بي لا أعلم إلى أين ولكن لا أستطيع مقاومته".
لورين: "أكل هذا من طارق؟".
"إنه موضوع أكبر من شخص مرّ بحياتي ولكنها فكرة".
لورين: "وما هي الفكرة؟"
سما: "يفرضون على الأنثى التعليم ويفرضون عليها كيفية تطويعه، عدم الإحساس بها كشخص له الحق في الحلم والطموح وبناء حياة خاصة بها"...
ثم أكملت: "مجتمع أعيش فيه فتشكلت فيه شخصيتي وثقافتي وحتى أشعر بأني نافعة فيه، بدأت في التدريب والعمل، وأحسست بمتعتي الحقيقية في هذا الحياة، وتمنيت أن يكون لي حياة زوجية مع شخص يُعجب بي لما أفعله ولكن الشخص الذي أُعجب بتفكيري، بدا تردده في اختياره لي كزوجة!"
فأكملت وهي تضحك ضحكة سخرية: "لست في عينه... أنثى".
وسكتت للحظات ثم أكملت: "أصبحت شخصية غير مفهومة في مجتمعي، يرون فيّ أنوثة مسترجلة" ولكنهم لا يعلمون أني كأي أنثى تحمل ما بين أضلعها قلبًا رقيقًا، يحمل العطاء والخير لكل مَن حولها، تحمل نفسًا مقدرة لقيمة رجلها، مهما كان لسانها الصارم

وعقلها الناضج وحدودها الواضحة بين الناس، لكنها تحتاج للاحتماء فيه، تحتاج لترمي ضعفها في حصن قوته، تحتاج لأن تتخلّى معه عن كل قوة زائفة ترتسم بها أمام المجتمع والناس...".

وغلب الدمع كلامها مرة أخرى.

نظرت لها لورين نظرات مشفقة ولم تستطع التعليق ومدت يدها تربت على يد سما...

وبعد مرور ساعة من الوقت دخل نفس المطعم نادر وبدأ يبحث بنظره عن لورين فوجدها..

"لورين، سما، كيف حالكما؟"

لورين بنظرة دهشة: "ماذا أتى بك إلى هنا يا أخي؟"

"جئت لأبشركم بخبر سار لي وتمنيت أن أحتفل معكما..."

فتنهتا لكلامه....

"لقد قمت بأول محاضرة لي في المركز الخاص بي وكانت عن الفن الهادف وتأثيره على ثقافة المجتمع، وكانت مرضية الحمد لله".

لورين: "إذًا فماذا ستهدي لنا في هذه المناسبة السعيدة؟".

"الغذاء اليوم سيكون على حسابي الخاص".

"اتفقنا".

وبينما هم يتناولون الغداء وجد ورقة على الطاولة فأخذها برفق وقرأ ما فيها....

"لماذا؟... بداخلي طائر يئن...." ثم أكمل: "من كاتب هذه العبارات بهذا الشكل الجميل؟ .. انتظرا.. أيمكنني التخمين من كاتبها؟"
ثم أكمل مبتسمًا للورين: "بالتأكيد لست أنت يا لورين..."
فتوجه بنظره لسما قائلاً: "أيمكنني الاحتفاظ بها؟".
سما بابتسامة إحراج: "نعم بالطبع".
ثم سأل نادر بعفوية: "لماذا الطائر يئن يا سما؟".
فقاطعت لورين نادر قائلة: "فما رأيك في رسم الكلمات؟ جميل أليس كذلك؟".
فجاوب نادر: "رأيي في شكل الرسم؟ أم الأحاسيس التي يحويها الرسم؟"
ثم أكمل موضحًا: "أنتِ تعرفين أني متخصص في الفنون الآن".
لورين: "أنا أعرف أني لن أنتهي من مجادلتك يا أخي".
وبعد الانتهاء من تناول الطعام..
تهم سما بالوقوف: "أستأذنكم الآن، لأننا على موعد سفر أنا وعائلتي لحضور فرح في قرية ريفية بالمنصورة وسنقيم لمدة يومين هناك".
لورين: "أيمكنني الحضور معك يا سما؟؟"
"وكيف ستذهبين وحدك يا لورين؟"
"معك بالطبع يا أخي الحبيب".
سما بابتسامة: "تمام سننتظركم، أستأذن الآن".

١٠

يتجول في شوارع كاليفورنيا ويشاهد العالم بعيون باحثة عن الأمل...عن الحب...عن النور... بعيون جديدة تخلصت من عبء الماضي وحل مكان هذه التخلية تحليه...

وبينما يسير أحمد في الشارع بجوار حديقة وجد فيها شخصًا يتقدم له بكاميرته الخاصة يطلب من أحمد أن يصوره هو وزوجته...

فابتسم أحمد وأمسك بالكاميرا محاولاً التقاط صورة جميلة للزوجين..

فشد نظره بعدسات الكاميرا ورق شجر ناصع الخضار مُنسق بترتيب رباني جميل خلفهما، فاقترب منه والتقط له صورة في الحال...

فتنبه أن عليه أن يصور الزوجين، فالتقط لهما الصورة وطلب من صاحب الكاميرا على استحياء الصورة التي التقطها لأوراق الشجر...

وقبل اقترابه من منزله أخذت أحمد خطواته لبائع الجرائد، واشترى الجريدة كعادته اليومية....

بينما أحمد يتناول العشاء ويتصفح الجريدة، قرأ هذا الإعلان

(.... مسابقة لأفضل تصميم، مطلوب صنع نموذج مبتكر من الخشب وتقديمه قبل التاريخ المحدد....)

لم يكمل أحمد العشاء وذهب يبحث في الإنترنت عن أفكار تساعده للتقديم في هذه المسابقة...

❊ ❊ ❊

سما وأسرتها في الطريق السريع للقرية الريفية في المنصورة....
وعندما تسلل لها الملل بدأت في كتابة قصاصات ورقية كل قصاصة تكتب فيها ما يجول بخاطرها...
فكتبت في أول قصاصة (لم يعد بالإمكان إعادة الشيء كما كان)
والقصاصة الثانية (أنثاي التي داخلي خذلتني)
والقصاصة الثالثة (طائر الحب عاند طائر الأحلام)
والقصاصة الرابعة (قلبي يتمرد عليّ)
أما الخامسة (لم أعد أحب ما أحبه وأحببت ما أكرهه)
وجمّعت القصاصات في محفظة نقودها....
وحين صلوا للمكان المقصود، رحّب بهم عم حسن واستقبلهم أهل البيت استقبالا حافلا لقدومهم، وقدموا لهم ما لذ وطاب..
وفي آخر الليل انفردت سما بنفسها في المزارع المحيطة، وبعدت كثيرًا عن مكان الإقامة..
وشعرت أنها تريد الصراخ بصوت عالٍ، فبدأت تهمهم بجمل قصيرة وعلا الصوت تدريجيًا حتى زاد حدة الصوت...

"أحب حياتي هكذا، أنتم لم تفهموني، أنا على حق، أنا قوية" وانخفض صوتها في هذه الجملة "وسأظل قوية، أستطيع أن أمر هذه المحنة بسلام" وانهالت في البكاء، فوجدت من يتقدم نحوها برفق فالتفتت فإذا هو أبوها، فاحتضنته وبكت بشدة قائلة: "يا أبي يعاتبونني على ذنب لم أرتكبه، يعاتبونني على حياة سعيدة بها، يعاتبونني لأن عندي أحلامًا وكأني جنس ثالث، لماذا يا أبى كل هذا؟ فهّمني يا أبي".

وبدأ يربت الأب على كتف ابنته: "ستخرجين من هذه التجربة بأمور جيدة يا ابنتي".

"أنا مشوشة كثيرًا هذه الفترة".

والد سما مبتسمًا: "سما في مرحلة تغيير، استوعبيها في هذه الفترة".

سما ترد بشيء من الإحباط: "تغيير؟.. أي تغيير يا أبي؟"

الوالد مكملاً: "عندما يتهاوى ورق نبات روحك داخلك، أمسكي أوراقك الذابلة بين كفيك وانثريها حولك برفق، إنها مرحلة خريف طبيعية، وسيحل الربيع بلا شك، كما تزهر الثمار في هذه الأرض الخضراء" ثم أنهى حديثه بـ" حان الأوان كي تُكشِف عنكِ ملامح جديدة لم تظهر من قبل، إذا أحسنتِ الاستقبال....."

سما مستمعة في شرود لكلام والدها ثم أعادت آخر جملة: "أحسنت الاستقبال؟"

"نعم أحسنتِ استقبال الألم، كاستقبالك للفرح، لا تقوي رغم ضعفك، أعطِ لكل شيء أوانه ولا تستعجلي مرحلة قبل الأخرى".
"حسنًا، سأحاول يا أبي"
فقبلها والدها على رأسها وهو يربت على كتفها...

❊ ❊ ❊

سمع مارك وماري صوت طرقات عالية صادرة من شقة أحمد، فذهب مارك إليه مسرعًا...
"أحمد، لقد سمعت صوتًا عاليا صادرا من شقتك، فجئت لأطمئن عليك!!"
أحمد وقد بدا عليه الاتساخ وفي يديه أدوات: "تفضَّل يا مارك، تعال لترى...".
فدخل معه مارك متسائلاً: "ماذا تفعل يا أحمد؟".
أحمد تاركًا الأدوات وقام بغسل يديه حتى يقدم لمارك القهوة: "تفضّل القهوة، سأشارك في مسابقة، سأحكي لك..." ثم حكى له تفاصيل المسابقة ثم أنهى بـ: "وميعاد التسليم بعد أسبوع".
مارك: "رائع يا أحمد، وما الشيء الجديد المُبتَكَر الذي سوف تقدمه في المسابقة؟"
أحمد معطيًا لمارك صورة لأوراق الشجر التي التقطها من الحديقة: "ها هي".

مارك: "لم أفهم يا أحمد، اعذرني".
أحمد موضحًا: "سأصنع كرسيًا خشبيًا على شكل ترتيب أوراق الشجر هذه، فما رأيك؟"
أعاد مارك النظر للصورة ثم لأحمد مرة أخرى وعليه علامات الإعجاب بالفكرة: "رائع يا أحمد" ثم أكمل متحمسًا: "إذًا أيمكنني مساعدتك في شيء؟"
"شكراً جزيلاً لك، يمكنك فقط أن تساعدني في تركيب هذه القطع هكذا..".
"فهمت، حسنًا"
ثم عاود صوت الطرقات مرة أخرى.....

❊ ❊ ❊

أصوات زغازيد وأغاني تصدر من منزل عم حسن، تجلس سما وأمها وأختها ولورين والعروس والأصدقاء والأحباب مهنئين لها...
في وسط الزحام صاحبت سما نفسها وخرجت للمزارع القريبة لتنظر للسماء الصافية فترى النجوم بوضوح، ثم ابتسمت وبدأت في لمس الزرع بيديها، وتأخذ نفسًا عميقا في الهواء النقي، في نفس الوقت كان نادر يمرّ في المحيط لأنه لا يعرف أحدًا سوى أخته التي أجبرته على الحضور، فوجد في طريقه محفظة نقود، فانحنى لالتقاطها من الأرض وبدأ في التفتيش بها ليعرف مَن صاحبها، فبحث عن البطاقة الشخصية فنطق بـ: "سما.. ممدوح.. حسين"

فقبل أن يضع المحفظة في جيبه، ساقه فضوله أن يقرأ القصاصات الورقية التي كانت تطل من المحفظة....

ثم قال بصوت مسموع لنفسه: "قلبي يتمرد عليّ؟" وفتح الثانية "لم يعد بالإمكان أن يعود الشيء كما كان..؟" وفتح الثالثة "أنثاي التي بداخلي خذلتني..؟"

فاستغرب هذه الجمل ولم يكمل القراءة ودار يبحث عن سما هنا وهناك.

حتى وجدها هناك تفرد ذراعيها، فذهب إليها مناديًا: "أستاذة سما؟"

ففزعت سما من نداء نادر المفاجئ: "نعم!"

فبادرها بسؤال: "أهناك شيء ضائع منك تبحثين عنه؟"

فردت سما بعفوية: "لا، أنا هنا فقط لأشم بعض الهواء"

نادر قائلاً: "إذًا إن وجدتِ شيئًا ضائعا منك، ستجدينه عندي" ثم مشى خطوات ثم رجع لها مُخبرًا: "لا تصدقي نفسك في كل شيء، النفس تكذب أحيانًا إن لم نفهمها جيدًا..!" ثم سار من أمامها....

ازداد استغراب سما قائلة لنفسها: "ماذا يقصد؟!" ولكنها عادت إلى مكان الدار دون أن تكتشف تفسير قوله لذلك...

وبعد الانتهاء من الفرح وتقديم التهاني والسلام على عم حسن وأسرته اللطيفة، استعدوا للرجوع للقاهرة...

❋ ❋ ❋

(بعد مرور أيام.....)

يأتي أحمد من عمله سريعًا كي يضع اللمسات النهائية لكرسي المسابقة، وبدأ يفكر في وضع اسم مناسب له، يمسك فرشاة الألوان ويلون تصميمه الفريد بألوان الشجرالمميزة، ويفكر مع كل خطوة تقترب للنهاية في اسم مناسب للتصميم حتى انتهى من التصميم تمامًا ووضع الفرشاة جانبًا وبدأ ينظر له من جميع الجوانب ثم قال: "شغف"... "نعم إنه شغف، سأطلق عليه هذا الاسم".

رنّ جرس باب شقة أحمد....

"أهلاً مارك، ما هذا الذي تحمله؟"

"أهلاً أحمد، تفضّل هذا الغداء أعدته لك ماري، لأننا نعلم انشغالك في هذه الفترة بسبب اقتراب ميعاد المسابقة"

فأخذ أحمد الطعام من مارك بابتسامة واسعة: "أنا فعلاً جائع جدًا.... أنا متشكر جدًا لكما"

"أحب أن أبلغك أن ماري ستُقدِم على عملية جراحية للعيون في الأسبوع المقبل، دعواتك لنا أن يرجع لها بصرها يا أحمد".

"لا تقلق يا جاري العزيز، ستنجح العملية" ثم أكمل "لماذا أنت واقف بالخارج هكذا؟ تفضّل بالدخول".

"لا يا أحمد، لا أريد مقاطعتك، نريد الجائزة يا صديقي، سأذهب الآن وإن احتجت شيئًا لا تتردد في إبلاغي".

فرد عليه أحمد بابتسامة عبرت له بالكثير عن رد الجِمِيل، وأغلق الباب...

❊ ❊ ❊

رجعت سما لأول يوم في عملها بعد الإجازة وهي ترتب أفكارها وتستعيد همتها للعمل، وتدور في المكتب وكأنها تتعرف عليه من جديد...

ووقفت أمام الساعة الأرجوانية لدقائق معدودة كانت بالنسبة لها ساعات، عاودتها كل ذكرياتها وكلامها مع أحمد، فهي كانت تتفهمه، ولكن الآن شعرت به، الآن فقط بدأت تطابق أحاسيسه معها وكأنها أصابتها نفس اللعنة، لعنة الغربة والحيرة، لعنة لا تترك أحدًا إلا وتصيبه كالحياة والموت، قدر ومكتوب ويجب علينا التعامل معه وتقبله، أو نعاديه، وفي هذه الحالة ستلاحقنا حتى تهوى بنا، كل شخص يذوق هذا الطعم المرّ في حياته..

"فإذا لم أستطع أن أتخلى عن حياتي، سأتمسك بها بكل ما أوتيت من قوة، فلا يوجد مَن يؤمن ومن لا يؤمن في نفس الوقت، لوغطت الأعين المرحلة الرمادية فعليها بالبحث حتى تصل للحقيقة، فاللون الرمادي أصبح لا يليق بي في كل الحالات، كنت أعتقد أنه يريحني من تعب التفكير في الحقائق الواضحة ولكنه في الحقيقة يتخلى عني في منطقة.. تدعى.. الأمان، في الحقيقة هي

منطقة أمان وهم وخيال ليست في الواقع، كنت أخاف حكم الناس القاسي، ولكن الآن لن يتألم غيري إن بحثت عن رضا نفسي في عيون آخرين، فالأعين كثر ولكن أنا واحدة وإن تشكّلت على قوالب الآراء ستختفي ملامحي وتذبل، وأنا أهاب الذبول، أهاب أن أفقد نفسي، أكثر من فقداني لشخص..."

كل تلك المعاني دارت بأفكارها أمام تلك الساعة التراثية..

فمدت سما يدها بكل رفق على زجاج الساعة لتنظفها بأناملها من الغبار لترى عقارب الساعة بوضوح وكأنها تريد أن تربط مشاعرها بالواقع، حتى لا يسرقها الوقت وتضيع في دوامة الحيرة العميقة، تريد أن تلحق بلآلِئ العقد المنفرط وتحتفظ بشخص يرتدي ثوبًا أبيض يداه ناعمتان يربت على يدها ويطلب منها بكل لطف أن تذهب معه حيث الأمان والمتعة اسمه.. الأمل..

جلست سما بكل هدوء على مكتبها ولبست نظارتها وهمّت للبدء في العمل وبدأت بالاتصال بالعملاء لمتابعة الأعمال التي كانت تشرف عليها قبل الإجازة.

❊ ❊ ❊

جاء موعد عرض نتائج التصميمات المتميزة في هذه المسابقة، التي تقدم لها الكثير من المصممين المتميزين والمشهورين في هذا المجال.

يجلس مارك وماري وأحمد في صالة لمسرح كبيرعليها الحكام وجوائز قيمة للفائزين..

"فماذا ستكون نتيجة مبتدئ بين هؤلاء المتميزين؟!"

"يا ترى هل سألحق مكانًا بين العشرة المكرمين بشهادات تكريم على أعمالهم بعد الثلاثة الأوائل؟!".

خواطر مصحوبة بقلق وتوتر ينتاب أحمد، يشعر بدقات قلبه تزداد مع اقتراب إعلان النتيجة، أُزيح الستار وساد الهدوء في كل أرجاء المسرح حتى يعلن عن الفائزين العشرة بشهادات التكريم....

ولكنه لم يسمع اسمه فيهم فأيقن أنه لم يَفُز، لمعرفته بقيمة منافسيه في هذا المجال...

فطلب أحمد بنبرة إحباط من مارك الانصراف...

مارك معنفًا: "أمجنون يا أحمد؟ انتظر قد تكون من الأوائل".

أحمد ضاحكًا: "لا لا أظن".

فساد الهدوء مرة أخرى لتعلن مقدمة الحفل عن الفائز الثالث، فجلس أحمد مرغمًا...

وبدأت المقدمة في الإعلان بالفائزين بالمراكز الثلاث الأولى:

"المركز الثالث للتصميم (حياة) للمتسابق الفنان ديفيد رامون فليتفضل لاستلام جائزته"

"المركز الثاني للتصميم (تراث قديم) للمتسابق الفنان سويد دانيل فليتفضل لاستلام جائزته"

فصفق الجمهور للفنانين المعروفين ديفيد وسويد على أعمالهما ثم ساد الهدوء مرة أخرى في الصالة لتعلن المقدمة عن المتسابق الأول:

"أما المركز الأول فسيكون للتصميم باسم (شغف) للمتسابق المصري أحمد كمال درويش، فليتفضل لاستلام جائزة المركز الأول وهي مبلغ نقدي ورعاية لمشروعه، تهانينا لك".

تفاجأ أحمد بما سمعه ووقف في مكانه لفترة، تحرك عندما دفعه مارك للصعود للمسرح، سلّم أحمد على الحكام واستلم جائزته وسلمته المقدمة الميكروفون حتى يقول كلمة للجمهور....

وبدأ يتحدث بالإنجليزية والدموع تملأ عينيه من السعادة "أهلاً بكم، أنا لا أعلم ماذا أقول، فقد كنت سأرحل من المسرح لفقداني الأمل في الكسب لولا صديقي العزيز مارك الجالس بينكم الذي أجبرني على الانتظار هو وزوجته" فضحك الجمهور ثم أكمل وهو يمسح دموعه ويرجع الهدوء للمسرح مرة أخرى..

"اسمحوا لي أن أتكلم بحرية، الموضوع بالنسبة لي أكبر من مجرد تصميم، بل هو كيان كامل صمم أن يُصَمِم، كيان كان لم يكن، كان شخصا حائرًا ما بين اختياراته الخاطئة، متعلقا بما لا يهواه، ولا متعلقا بالله، متعلق بلا شيء، شخص على حافة الهاوية، نعم على حافة الهاوية... لا أجد في نفسي أملاً، ولا أشعر بوجودي ولا

متصل بأحاسيسي ومشاعري، شخص يعيش كالدينامو الكهربائي، وهكذا كانت تمر به الأيام، حتى قررت.... قررت التغيير، التفكير بسبل مختلفة لعلّي أصل لنتائج مرضية، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ووقع شراعي مرة أخرى ولكن لملمت شتات سفينتي حتى أستقوى على رياح التغيير التي كانت أكبر من قدراتي حينذاك، ولكني أردت أن أؤكد على قراري، بأن أكون شخصا آخر مختلفًا عن الذي قد لازمني دائمًا، كنت دائما أسير مع سريان الحياة كالكائنات المائية النافقة، وآسف على التشبيه ولكن هذا ما كنت عليه، لا أقوى على التوقف والسير بإرادتي، كيفما تؤول بي الحياة كنت أسير، كانت حياتي العاطفية والاجتماعية والنفسية تباعًا في صراع دائم، وقد أدركت الحياة عندما عشت اللحظة بصدق، عندما بحثت عن الحب الصادق في قلبي وفي عيون الناس، عندما بدأت أسمع لصوتي الداخلي وأتصل بروحي وأوصلها بالله بصدق فكلها كانت أدوات ساعدتني على فك سلاسل القيود والخوف، عندئذ فقط شعرت أني مسئول حرعن قراراتي وحياتي، عندها فقط أصبحت فنانًا في البحث عن ذاتي والتحرك لما أحبه بخطى واضحة واثقة"

فوجّه نظره إلى مارك و ماري وابنهما الرضيع مكملاً: "وهذا جعلني قادرًا الآن على أن أجد الحب بسهولة، لأني وجدت نفسي ووصلت

إلى أعماقها وتصالحت معها، فكل شيء أصبح واضحًا الآن بالنسبة لي من ذي قبل".

ثم أكمل مشاورًا للتصميم: "فقد وجدت قالبي المميز بين المحيط، فتجسّد كياني بنهاية هذا التصميم".

ثم أعاد النظر لمارك: "كما أحب أن أشكر مارك الذي علّمني معنى شغف وهو اسم تصميمي الحالي، وأتذكر أني في بادئ الأمرعندما قالها لي كنت مستغربًا لهذه الكلمة، ولكن مارك كان يثق فيّ أكثر مني، أحب أن أخبركم أني أدركت هذا المعنى الآن عندما عشت التجربة وأتمنى أن يعيش الجميع الشغف، وأحب أيضًا أن أهدي الهدية النقدية له هو وزوجته، فهم من ساندني كثيرًا جدًا حتى انتهيت من التصميم، كما أشكر أناسًا ليسوا معي الآن وأفتقدهم ولكن أحب أن أذكرهم، نادر ولورين وجدي وأبي وأمي رحمهما الله، كما أحب أن أشكر إنسانة ألهمتني معنى أن أكون نفسي أولاً قبل البحث في المحيط وهي سما، لقد أطلت عليكم شكرًا جزيلاً"

فصفق الجمهور تصفيقًا حادًا.. ونزل أحمد مسرعًا من المسرح، واحتضن مارك وأهداه المبلغ المالي وقال له: "دعوت لكما بنجاح العملية الجراحية لماري، كنتم خير أسرة لي هنا في كاليفورنيا"...

❊ ❊ ❊

الساعة العاشرة مساءً يضع نادر محفظة سما أمامه على المكتب وهو يعد جدول محاضرات الشهر الجديد.....

صوت داخلي خفي يحدث نادر:

"لماذا لم تعطها لها يا نادر، لماذا احتفظت بها، ربما تحتاجها في شيء مهم، لماذا هذا التصرف الأحمق؟!"

فذهب لأخته لورين كي تخبر سما أن محفظتها معهم...

لورين: "أين وجدتها يا نادر؟".

"وجدتها بجوار المنزل هناك عندما كنا في القرية".

"ولماذا لم تعطها لها في الحال؟".

"لأني.... لأني قد نسيت" ورجع لغرفته.

عاود الصوت الداخلي يسأله: "لماذا تكذب على لورين يا نادر؟ ماذا بك؟" .

فردّ نادر في صوت أعلى قليلاً: "أنا بخير.... أنا بخير".

ورجع مرة أخرى إلى مكتبه وعليه القصاصات الورقية الخاصة بسما...

"ألو، سما حبيبتي كيف حالك، كنت أودّ أن أقول لكِ أننا قد وجدنا المحفظة الخاصة بكِ فلا تقلقي عليها، فهي معي الآن".

"أين وجدتها يا لورين؟"

"نادر من وجدها جانب المنزل عندما كنا في القرية".

سما مستغربة: "نادر!".

"نعم، أهناك شيء يا سما؟".
"لا أبدًا يا لورين شكرًا لكما، أيمكنك أن تقابليني الآن لأستردها منك؟".
أنهت سما المكالمة، وقد بدا لها مفهوم (إن وجدتِ شيئًا ضائعًا منك، ستجدينه عندي...)
في نفس الوقت ذهب نادر للورين، وقال لها: "لا تخبريها بأني مَن وجدتها".
"بل قلت يا نادر إنه أنت!".
فبدا على نادر الارتباك فسألته لورين: "ما بك يا نادر؟"
"لا شيء"
فنظرت لورين لنادر وهي مبتسمة: "أمتاكد أنه لا شيء؟".
"نعم يا لورين".
"إذًا سأذهب لأعطيها لها".
"إذهبي!!"
فعاود الصوت مرة أخرى بينما نادر في غرفته: "أنا أعلم ملامح كل هذه الحماقات، ليس له تفسير إلا أنه الـ.." فاعتدل نادر في مجلسه وتحركت فراشة قلبه ولأول مرة لا يعلم كيف يتحكم بشيء!!...
فرجعت لورين تقول لأخيها بدلال: "نادر أيمكنك يا أخي الحبيب أن تعطيها لسما الآن فأنا متعبة بعض الشيء وهي تحتاجها ضروريًا؟".
نادر: "ماذا حدث يا لورين كنتِ بخير منذ دقائق؟!!".

لورين: "سامحني يا أخي".
نادر قام مرغمًا وأمسك بالمحفظة: "حاضر سأعطيها لها".
ذهب نادر ليقابل سما بأمر من لورين بحجة أنها متعبة...
خطوات تقربه من الطريق وشيء داخلي يبعده عنها.. حتى ظهرت سما في المكان المتفق عليه، وقد بدا أنها منتظرة منذ فترة طويلة..
فاقترب منها قائلاً: "أعتذر عن التأخير يا سما".
"لا أبدًا يا نادر".
"ها هي حافظتك".
أخذتها سما بلطف وبدأت تبحث في داخلها...
نادر متسائلاً: "أهناك شيء مفقود منها؟"
سما وهي مبتسمة: "نعم كان هناك بعض القصاصات الورقية ولكنها لا تهم، أشكرك كثيرًا".
ثم أخرج نادر يده الأخرى من جيبه وبها القصاصات الورقية متسائلاً: "أهذه؟".
سما وقد بدا عليها علامات الاستفهام والإحراج: "نعم".
مرّ على الطريق رجل يبيع البطاطا المشوية، فلحق نادر به ليشتري منه..
فعندما رجع نادر بها سألته سما: "أشكرك على أي حال إني أحبها كثيرًا".

فقال نادر ضاحكًا: "لقد علمت من عينيك فقد لحقت بهذا البائع قبلي".

فابتسمت سما قائلة: "أشكرك"

شعرت سما بشيء من الراحة لتقول: "أيمكنني سؤالك سؤالا؟"

"تفضّلي"

"ماذا كنت تقصد عندما قلت لي (النفس تكذب أحيانًا إن لم نفهمها جيدًا)؟"

"أيمكنك أن تمزقي القصاصات الورقية يا سما؟".

"نعم يمكنني تمزيقها"

"كيف وقد كنتِ تبحثين عنها منذ قليل؟"

"فقد كنت أمرّ بحالة سيئة ولكني أدركت الصواب الآن ولم أعد أحتاجها".

"إذا فأنتِ تجاوبين على سؤالك؟"

"نعم.. لقد فهمت"

وابتسما..

❊ ❊ ❊

بعد شهر .....

يشاهد أحمد فيديو الحفل مرارًا وتكرارًا الذي سجّله مارك له، فأرسله في مجموعة بها نادر ولورين وسما..

وكتب لهم {سأستقيل من عملي وسأبدأ في مشروعي الخاص الجديد عن قريب ودراستي في التجارة ستفيدني كثيرًا في مشروعي الحمد لله،

وأتمنى أن أجد شريكًا لحياتي الجديدة، كنتم خير رفقاء لي في حياتي، أشكركم كثيرًا}

في هذا الوقت طرق مارك الباب..

أحمد مُرَحِبًا: "تفضلا"

فدخل مارك وماري ومعهما طفلهما..

مارك مشاورًا لماري للكرسي: "إنه هو".

ماري مندهشة: "كرسي الجدة أصبح جميلاً للغاية!".

أحمد مندهشًا جدًا لما يسمع وينظر لمارك قائلاً لماري: "أنجحت العملية؟!!"

ماري: "نعم يا أحمد وأردنا أن نُسعدك بهذا الخبر".

أحمد: "كم أنا سعيد، أحمد الله على سلامتك، يجب أن نقيم حفلاً لشفائك".

❊ ❊ ❊

((في أخر يوم في العام الساعة الثانية عشرة صباحًا))
في أحد البيوت...
لورين موبخة حازم: "يا حازم قد أخبرتك ألّا تتأخرعليّ، أنا أجلس وحدي هنا في المنزل أنتظرك فيجب عليك أن تعطيني وقتا كوقتك لعملك و..... "

وفي بيتٍ آخر...
تدخل عليه زوجته بالقهوة في مكتبه بمنتهى الهدوء بينما هو مشغول بين أوراقه: "تفضّل القهوة، أتريد شيئًا آخر يا طارق؟"
طارق: "لا أشكرك، يمكنك أن تستريحي وتنامي الآن.."
زوجته: "حسنًا".

وفي السويد..
مها: "يا زوجي أيعجبك هذا التصميم أم هذا فهو تصميم عربي أصيل؟"
"زوجتي الحبيبة أنتِ تعلمين أني لست عربيًا لأعرف التراث العربي مثلك، ولكن يعجبني هذا أكثر".
مها وهي تعطي زوجها قبلة في الهواء: "أشكرك يا زوجي الحبيب".

وبيت آخر في كاليفورنيا..
أحمد يفكر في تلك الفتاة العربية التي قابلها في أحد المعارض التي كان مشاركًا بها وقد كان لها إضافة مميزة لتصميمه الجديد حتى يكون أكثر تميزًا...

وفي أحد شوارع إحدى الدول الأوروبية...
"أسعيدة في هذه الرحلة يا سما؟"
"نعم كثيرًا"
"بماذا تشعرين وأنتِ معي؟"
سما: "نفسي دائمًا صادقة وأنت معي يا زوجي الحبيب.. نادر"

تمت بحمد الله

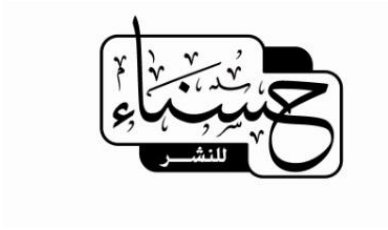

حسناء للنشر

ج . م . ع

(+٢) ٠١٥٥٣١٢٩٣٦٣

(+٢) ٠٣/ ٥٩٣٠٥٦٧

حسناء للنشر والتوزيع

Available on the App Store

ANDROID APP ON Google Play